دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النموذج الحيوي النفسي الاجتماعي و كل من السلوك المنحرف و السلوك الطبيعي : محكاته و عوامل الاستهداف
المصدر:	دراسات نفسية
الناشر:	رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية (رأنم)
المؤلف الرئيسي:	الصبوة، محمد نجيب أحمد محمود
المجلد/العدد:	مج 10, ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2000
الشهر:	يوليو
الصفحات:	292 - 344
رقم MD:	83759
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الاضطرابات النفسية، الانحرافات السلوكية، علم نفس السلوك، السمات الشخصية، التحليل النفسي، العوامل النفسية، علم النفس الاجتماعي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/83759

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

النموذج الحيوى النفسى الاجتماعى وكل من السلوك المنحرف والسلوك الطبيعى (محكاته و عوامل الاستهداف)

أ.د. محمد نجيب الصبوة
قسم علم النفس – جامعة القاهرة

تمثل هدف هذا المقال النظرى فى مراجعة أنماط السلوك المنحرف فى مقابل السلوك الطبيعى ، وتقديم تعريف محدد للانحرافات السلوكية فى ضوء وجهتى النظر الإحصائية والاجتماعية الثقافية، وفى ضوء معايير السلوك الطبيعى (السوى) من منظور النموذج الشامل ومتعدد الزوايا ، والذى يعرف باسم النموذج الحيوى (البيولوجى) النفسى الاجتماعى .

كما اهتمت هذه المراجعة بالإلمام بكل العوامل والمتغيرات الداخلية (التكوين الشخصى للفرد) والخارجية (العوامل الاجتماعية الثقافية والفيزيائية) ، التى تجعل الفرد مستهدفا إما للوقوع فى براثن الانحراف أو الاضطراب النفسى أو كليهما معا . وعرضتُ أخيرا – بعد أن قدمت نماذج من أشهر الانحرافات السلوكية محليا وعالمياً – لإسهامات علم النفس فى تفسير بعض الانحرافات السلوكية وعلاجها والوقاية منها كأمثلة تطبيقية وشارحة لهذا المنظور الشامل .

مقدمة :

نستهل بحثنا هذا بالنص الآتى " إن أحدا لا يستطيع الجزم بموعد الانفجار التالى الذى قد يسببه الانحراف السلوكى فى المجتمع الأكبر أو المجتمع الأصغر ، وهو الأسرة ، بل وقد لا يهتم بجملة العوامل والمتغيرات التى قد تمكنه من التنبؤ بحدوثه فى المدى الزمنى المنظور أو المدى الزمنى البعيد . ولكن عندما يدوى صوت هذا الانفجار ، فإن الكل سيشكو من آثاره الصدمية العاتية والمدمرة . تلك بالضبط هى حال نظمنا الاجتماعية ومجتمعاتنا الكبيرة والصغيرة فى التعامل مع الانحرافات السلوكية والجنوح وارتكاب الجرائم والمخالفات " (Bemak , F.& Keys, S.: 2000, p.1)

وكأن لسان حالنا يقول ، " إن الانحرافات السلوكية انتشرت فى كل مكان ، وليس هناك مجيب ولا رقيب ولا حسيب ، بل إن حكم العادة انتهى إلى أنه قد أصبح شيئا عادياً أن نرى هذه المخالفات ونعايشها ولا نقلق ، بل ولا نحرص على اتخاذ السبل الكفيلة بتحجيمها" (Ibid.) (مصطفى تركى : ١٩٨٦).

ولكن الأمر – من وجهة نظرنا – ليس كذلك ولا نراه على هذا النحو من التشاؤم ، لأن علم النفس – وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى – لديه كثير من أساليب الوقاية والإرشاد النفسى والتربوى ، وكثير من أساليب تعديل أنماط السلوك المنحرف ، وكثير من طرق علاج الاضطرابات النفسية الناجمة عنه .

وانطلاقاً مما سبق ، فإن مهمة علم النفس – من وجهة نظرنا – قد تعددت فى دراسة سلوك الإنسان ، سواء أكان سلوكاً سويا أم سلوكا منحرفاً أم سلوكاً مضطرباً بهدف الإحاطة الدقيقة بهذا السلوك وتفسيره فى كل موقع ، " ولذا فإن المعرفة العلمية بكل أنواع السلوك تدور حول ثلاثة محاور، هى وصف السلوك ثم تفسيره من حيث معرفة دوافعه وأسبابه ، وأخيراً محاولة التنبؤ بهذا السلوك ، أى التوقع المستقبلى بما سيكون عليه سلوك شخص ما إذا ما توافرت له الظروف نفسها ، ومن ثم ضبطه والسيطرة عليه وتعديله " (شحاته ربيع وآخران : ١٩٩٥ ، ١٧) .

وبناء على تحديدنا السابق لوظيفة علم النفس وعلماته ، يبدو منطقياً صياغة هذا السؤال : هل لعلم النفس بمختلف فروعه دور أو إسهام فى مواجهة الانحرافات السلوكية ؟ نعم : له إسهام كبير فى ذلك، وبصفة خاصة فروع : علم النفس المرضى، وعلم النفس العيادى (الكلينيكى) ، وعلم النفس الجنائى ، وعلم نفس الشخصية الإنسانية ، حيث حاولت هذه الفروع جميعها الإجابة عن مجموعة ضخمة من الأسئلة ، أهمها الآتى :

١ – هل السلوك المنحرف تسببه وراثة معيبة أم عوامل اجتماعية وثقافية غير حميدة ، أم اضطرابات نفسية تدفع المنحرف والمجرم إلى فعل السلوك المنحرف ؟ أم أن هذه الانحرافات السلوكية تحدث نتيجة لتضافر عديد من هذه العوامل جميعا ؟ إن الكشف عن أسباب الانحرافات السلوكية يعد من أهم اهتمامات علماء النفس فى التخصصات التى أشرنا إليها مسبقا .

٢ – وهل يمكن مكافحة الانحرافات السلوكية التى قد تصل إلى حد ارتكاب الجرائم ؟ وهل يمكن الوقاية منها أو علاجها ، وما أنجع السبل فى ذلك؟ وما أساليب التأهيل التى يعود وفقا لها المنحرف أو المجرم شخصا طبيعيا مرة أخرى لممارسة أدواره المشروعة فى مجتمعه ؟

٣ – وهل هناك شخصيات بأعيانها تتسم بمناهضة المجتمع ومعاداته بحيث تتخطى كل حواجز التحريم الاجتماعى ؟ وما خصال هذه الشخصية ، وهل هى تقبل العلاج

والتعديل والردع ، لم تستعص عليها جميعا؟

٤ – وماذا نفعل إزاء الاحتياطى الاستراتيجى للانحراف والجناح والجريمة، ونقصد به صغار الأحداث والمجرمين. هؤلاء الصغار من الأحداث والمراهقين، كيف ينحرفون ؟ وما العوامل التى تيسر لهم أمر الانحراف السلوكى ؟ وهل هناك أساليب علمية نفسية لإعادتهم إلى جادة الصواب ؟

٥ – وكيف نستفيد من هذا الكم الهائل من معلوماتنا النفسية فى تصميم البرامج الوقائية والعلاجية ؟ وما أدوار الاختصاصى النفسى فى مجال الانحرافات السلوكية، ورعاية الأحداث ، وفى السجون والمعتقلات ، وداخل المؤسسات العقابية عموما ؟ وهل يمكنه المساهمة فى عودة هؤلاء إلى المجتمع أناسا صالحين ؟ (المرجع السابق ، ١٨) .

إن المختصين فى علم النفس فى الجامعات ومراكز البحوث العلمية ، يقومون بدراسات وبحوث متنوعة للإجابة عن كل الأسئلة السابقة وغيرها الآلاف ، حتى يوفروا أفضل خدمة علمية ممكنة لمن يعملون فى المجال التطبيقى للانحرافات السلوكية بكل أنواعها ، ومن ثم فإنكم ستجدون عبر هذه المراجعة بعض الإجابات عن بعض الأسئلة السابقة ، لأنه لا يمكن تصور إمكانية الإجابة عن كل الأسئلة السابقة وعن غيرها خلال مراجعة علمية تقدم وجهة نظر محددة .

تعريف الانحرافات السلوكية والعوامل المهيئة لها :

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن . ما المقصود بالانحرافات السلوكية ؟ وما الذى يدفع الفرد – شابا أو غير شاب – إلى الانحراف السلوكى أو ارتكاب الجرائم أو فعل التصرف الجانح ؟ وما العوامل التى تيسر ظهور الانحرافات السلوكية ؟

يجيب علم النفس عن هذه الأسئلة وعن كثير غيرها فى الآتى : يقصد بالانحرافات السلوكية " جملة الأفعال والتصرفات التى تحاول تخطى كل حواجز التحريم الاجتماعى ، كالقانون ، والشرائع ، والأخلاق ، والأعراف ، والتقاليد ، والنظم السياسية ، ويترتب عليها ضرر للفرد وللمجتمع معا . " (مصطفى سويف: ٢٠٠٠، ٢٠ ، وكذلك (Wanberg,K.W.,&Milkman,H.B.: 1998, 17) . ويقصد بالجريمة ذلك السلوك المنحرف الذى يجرمه القانون الوضعى أو هى السلوك اللا أخلاقى ، أو هى السلوك المنحرف الذى يضر بالفرد ذاته أو بالآخرين أو بالاثنين معا ضررا يجرمه القانون

(المرجع السابق ، ص ٢١ ، مصطفى تركى: ١٩٨٦ ، ٨) .

يتبين لنا من التعريفيين السابقين أن السلوك المنحرف يمكن أن يتصف ، بأنه يلحق الضرر بمرتكبه ذاته أو بالآخرين أو بهما معاً ، أو بممتلكاتهم أو بأبنائهم ، وأن يكون هذا الضرر محددا بمحكات نفسية وسلوكية ، وأن يتوفر فيه عناصر القصد والنية والإرادة الواعية الفاعلة ، وأن يخالف المثل والقيم والأخلاقيات والأعراف والتقاليد والقوانين ، التى تقوم كسياج لمنع حدوثه. ومن ثم فإن هدف علم النفس فى هذا الصدد – شأنه فى ذلك شأن القانون – هو حماية أسباب الأمن الاجتماعى فى المجتمع .

أما كيفية تحديد طبيعة الانحراف السلوكى وتحديد كيفية دراسته ، فقد انطلقت فى علم النفس من وجهتى نظر مختلفتين ، ومع ذلك يجمعهما معاً منظور تكاملى لابد منه ، لتدارك عيوبهما ، وإمكانية تطبيق محكاتهما فى حياتنا النفسية والاجتماعية .

تنظر وجهة النظر الأولى إلى الانحراف أو الشذوذ – فى أى مجال – على أنه الاستثناء المتسق الذى ينحرف عن المعايير الإحصائية لتوزيع الظواهر النفسية الاجتماعية باستمرار ؛ بمعنى أن الأداء أو السلوك أو الإدراك والمعرفة والتفكير الذى يصدر بشكل شاذ داخل الجمهور العام يعد سلوكا منحرفا انحرافا إحصائيا . ومن أهم الأمثلة الدالة على ذلك ، تلك المستويات شديدة الانخفاض فى مقابل نظيرتها شديدة الارتفاع من الذكاء ، وأنماط الشخصية المنحرفة اجتماعيا أو جنسيا ، ومتعاطو المخدرات . وهنا يشيع استخدام مفهوم الانحراف أو الشذوذ وفقا للتحديدات السابقة فى الدراسات النفسية للانحراف السلوكى (Rheingold,H.L.,Through:Corsini, R.: 1994, V.1, P.411)

ولكن يواجه تطبيقنا لهذا النموذج الإحصائى عدداً من الصعوبات أهمها ، أننا يمكن أن ننظر إلى المتأخرين عقليا على أنهم منحرفون أو شواذ ، أما العباقرة فلا يمكن النظر إليهم على أنهم شواذ ، وإنما هم نادرون ومحبذون . وينطبق الأمر نفسه على كل الخصال الشخصية الثنائية ، كالأمانة فى مقابل الخيانة ، والصدق فى مقابل الكذب ، والتقبل فى مقابل الرفض ، والمحافظة فى مقابل التحرر ... إلخ .

أضف إلى ما سبق أن التحديد الإحصائى يواجه مشكلة أخرى هى ، أن نسبة الانتشار المرتفعة لسمة من السمات ليست دليلا بالضرورة على الصحة ، لأن الأورام السرطانية ومرض نقص المناعة المكتسبة

والاعتماد على المخدرات وشرب المسكرات ، وجرائم العنف والعدوان ، والاغتصاب ، وأمراض القلق والاكتئاب، أصبحت جميعها تصيب أعدادا كبيرة من جمهور الشباب المصرى ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقر بأن واحدة من هذه الحالات سوية لمجرد ارتفاع نسبة انتشارها (ريتشارد سوين : ١٩٨٨ ، ٦٨-٦٩ : مترجم) .

وترى وجهة النظر الثانية أن الانحراف يمكن تحديده فى ضوء وقوع أحداث فريدة منتقدة اجتماعيا وحضاريا . وربما يحل التحديد الثقافى للانحراف مشكلات التحديد الإحصائى له ، لأن التحديد الثقافى يمكن أن نعده إحصائيا من جهة أنه يعتمد بصفة جزئية على أعداد الناس ، لكن إذا كان التحديد الإحصائى يقوم على أعداد الناس الذين يملكون السمة ، فإن التحديد الاجتماعى الثقافى يقوم على السمة التى يتقبلها أكبر عدد من الجمهور . وبهذا المعنى ، نجد أن السمة التى تظهر بنسبة تكرار عاليه قد تعد مع ذلك منحرفة أو شاذة إن اتفقت غالبية الناس فى ثقافة أو حضارة معينة على ذلك . وهكذا تنحل مشكلة التحديد الإحصائى ، لأن قوة التحديد الثقافى تكمن فى الاتفاق الاجتماعى حول صحة وسواء سلوك معين أو تحبيذة أو حول رفضه وتجريمه وعدم قبوله.

ولكن نقطة الضعف الضخمة التى تواجه التحديد الاجتماعى الثقافى للانحراف أيضا ، تكمن فى أننا قد نجد أنواعا من السلوك متناقضة تماما فى حضارات أو ثقافات متقاربة الزمان والمكان . والدليل على ذلك أمثلة كثيرة نسوق منها الآتى : تقبل الهنود الحمر وأقوام اليوجيز من ساكنى السهول لحالات الهلاوس والاعتقادات الخاطئة ، وإعجاب المجتمع الأفلاطونى – وعلى رأسه أفلاطون ذاته – بالجنسية المثلية (اللواط) بوصفها دليلا على القوة والرجولة وحب مواطنى " دوبو Dobu" لكل ما له صلة بالشك وسوء الظن ، والولع بالاغتصاب والقتل . واشتهار قبائل درمالايز Malays " المعروفين باسم " آموكو Amoco " بالعنف والعدوان والشراسة والوحشية فى الحرب وفى السلم، حتى ضرب بهم المثل فى الثقافة الإنجليزية والأنجلوساكسونية ، ومن خلال عبارة مفادها " To run Amok " أى أصبح آموكيا . كذلك ما نشهده اليوم من موجات كاسحة من البدع ، كظهور جماعات الهيبز وعبدة الشيطان ، والانتحار الجماعى ، كما حدث فى أمريكا منذ فترة طويلة نسبيا ، وما حدث فى أوغندا الأفريقية منذ فترة وجيزة جدا ، وانتشار الزى الخليع والأغانى

الماجنة ، لدليل مقنع بدرجة كافية على أن الإجماع الاجتماعى الثقافى لأية أمة من الأمم قد يكون مضللا إلى حد بعيد . وإذا ترك هذا المعيار من دون تصحيح له ، فإنه قد يغرى بظهور قوى وجماعات تطالب بحقوق هذه الجماعات فى الحرية على أساس أنهم أصبحوا يمثلون مجتمعات من المنحرفين والشواذ لها قوة يحسب حسابها.

ولذلك نقترح عددا من المعايير الإضافية التى تفرق بين الشذوذ والانحراف المحبذ اجتماعيا والانحراف المرفوض من كل أطر التحريم الاجتماعى ، وأهم هذه المعايير الآتى :

أ – الاتفاق الاجتماعى العالمى وليس المحلى فقط على النواتج الإيجابية لهذا الانحراف عن حدود التوسط والاعتدال ، بما يخدم مصلحة الفرد المقبولة اجتماعيا ، ويخدم مصلحة الأسرة والمجتمع ، ويخدم البشرية فى مجموعها ، إذا ما تم التأسى به ، كالذكاء الشديد ، والعبقرية ، والميل للإصلاح .

ب– الخلو من التصرفات التى يمكن أن توقعه تحت طائلة القانون ، بالإضافة إلى الخلو من الآلام والاضطرابات التى يمكن أن تنطبق عليها طرق وقواعد التشخيص الطبى النفسى .

جـ– إمكانية التنبؤ بسلوكه على المدى القصير والطويل فى التعامل الاجتماعى والمجتمعى والبين شخصى . بمعنى أن يخلو سلوكه من اللامعقولية واللامنطق واللاتوقع.

د – ألا تكون هناك دواع لضرورة خضوع الشخص لبعض برامج تعديل السلوك المتخصصة نفسيا واجتماعيا ، إضافة إلى أنه استنفد كفاءة تطبيق كل برامج الإصلاح الدينية والأسرية والتربوية التى حصل عليها داخل كل مؤسسات التطبيع الاجتماعى ، كما لا يجب أن تكون هناك أية دواع لتلقيه علاجا طبيا للاضطرابات والأمراض العقلية.

هـ– يمكن لسلوكه أن يخضع للحكم المعيارى Normative ، والحكم المحكى Criterion لأنهما الأساس الذى ننطلق منه للحكم على أى خصلة أو أى سلوك من منطلق تحبيذ المجتمع له قياسا على نواتجه ، ومقارنة بنظرائه الآخرين المكافئين له فى كل شىء ، كموطن النشأة، والثقافة ، والعمر ، والمستوى التعليمى، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى ، إلى آخره من متغيرات المقارنة .

ونحن من جانبنا نعتقد أنه إذا اجتمعت لأى سلوك كل المحكات الخمسة السابقة ، بالإضافة إلى حصوله على مزايا التحديدين الإحصائى والثقافى ، فإنه يمكن وصفه بلا

جدال بأنه سلوك سوى ومثـــال يحتـــذى . ولكنه إذا خلا من بعضها أصبح سلوكا شاذا بالمعنى الاجتماعى الثقافى ، وربما بـالمعنى المرضى ، وإذا خلا منـــها جميعـــا يصبـــح سلوكا شاذا بالمعنى المرضى ومنحرفا كذلك بكل المعايير وتطبيقا للقواعـــد المـــابقة ، أمكن لعدد كبير من البحـــوث والدراســـات المصرية والأجنبية أن تقف على عدد مـــن الانحرافات السلوكية لدى الشباب فى مصـــر وفى كل أنحاء العالم ، نقـــدم منـــها هـــذه القائمة على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . (راجع جدول١، ص ن).

جدول رقم (١) : نماذج من الانحرافات السلوكية لدى الشباب فى مصر

(استخلاص من البحوث المصرية)

م	الانحراف السلوكى	م	الانحراف السلوكى
أولا	العنف والعدوان ، ويشمل :	٦	ممارسة الجنس مع الأطفال
١	سوء معاملة الأطفال	٧	نكاح المحارم
٢	العدائية والكراهية	٨	نكاح الموتى
٣	العنف الأسرى	٩	الاستعراضية
٤	الضرب الذى يفضى إلى الموت	١٠	الفيتشية
٥	العنف والعدوان المصاحب للاغتصاب	١١	الماسوكية
٦	تدمير الممتلكات	١٢	السادية
٧	التهديد بالقتل والتدمير	١٣	هوس الجنس
٨	خطف الأطفال	١٤	استراق النظر
ثانياً	تعاطى المواد النفسية المؤثرة على الأعصاب	١٥	اتخاذ ملابس الجنس الآخر
١	التدخين	١٦	الاستمناء
٢	تعاطى الأدوية النفسية بلا إذن طبى	رابعا	انحرافات الشخصية المناهضة للمجتمع وانحرافات الشخصية المنفصلة عن المجتمع
٣	تعاطى المخدرات الطبيعية والاعتماد عليها		
٤	تعاطى الخمور أو المسكرات		
٥	الكحولية أو التسمم الكحولى	١	الكذب والنصب والاحتيال والخداع
٦	تعاطى الخمور المرتبط بجرائم القتل	٢	السرقة والغش والتكليس
٧	تعاطى الخمور المرتبط بحوادث الطرق	٣	البلطجة (أفتعال المشاجرات قسرا)
٨	تعاطى الخمور المرتبط بالاغتصاب	٤	المعاكسات الميدانية والهاتفية
٩	تعطى الخمور المرتبط بالعنف والعدوان	٥	المقامرة ولعب الورق والبذاءة والفحش
١٠	تعاطى الخمور المرتبط بالاغتصاب والعنف والعدوان	٦	الصلف والكبر والجحود
		٧	الهروب والتسرب من العمل والمدارس والجامعات
ثالثا	الانحرافات الجنسية ، وتشمل	٨	التعصب والتطرف
١	الجنسية المثلية (اللواط)	٩	التمرد والعصيان والمروق والعناد
٢	الجنسية الغيرية (الزنا)	١٠	جنوح الأحداث
٣	الاغتصاب	١١	إتلاف المزارع وتسميم الحيوانات
٤	البغاء والدعارة	١٢	إضرام النيران عمداً
٥	ممارسة الجنس مع الحيوانات	١٣	التزوير والرشوة والاختلاس

ويكشف هذا الجدول رقم (١) عن انحرافات قد تضر بالفرد ، وأخرى تضر ضررا بالفا بالمجتمع ، وثالثة تضر ضررا شديدا بكل من الفرد والمجتمع . كما أن كثيرا من هذه الانحرافات قد يرتبط بسياق الحياة فى المدنية ، والأخر قد يرتبط بسياق الريف ، كذلك نجد أن بعضها يرتبط بكثير من الاضطرابات النفسية ، فى حين أن بعضها الآخر يرتبط بالعجز وضعف الإرادة . ونجد أخيرا أن بعضها قد يكون أشد ارتباطا بالأحداث والمراهقين ، وكثيرا منها يرتبط بمرحلة الشباب .

وأيا ما كان أمر هذه الانحرافات وتصنيفها وفقا لمحاور متعددة ، فإن السؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : ما الذى يدفع الفرد – مراهقا أو شابا أو غير شاب – إلى الانحراف السلوكى أو ارتكاب الجرائم ، أو فعل التصرف الجانح ؟ وما العوامل والظروف التى تمهد أو تيسر ظهور الانحرافات السلوكية ؟

عوامل الاستهداف للانحرافات السلوكية :

ينبغى أن نشير قبل الإجابة عن السؤالين السابقين إلى تمهيد مهم ، وهو أن الانحرافات السلوكية مشكلة معقدة للغاية بل ومتعددة المظاهر والوجوه بشكل يجعل من الصعب على مجموعة من الباحثين أن يكشفوا عن أسباب بعينها ترتبط بكل نوع من أنواع الانحرافات على حدة ، وإذا ما حدث ذلك ، فإن الصورة النهائية ستكون شديدة التعقيد على كل من المطلع والمثقف والمتخصص على السواء، لأنها حتما ستخلو من الوضوح فى الفكر، وستمتلىء بالحشو الذى يجعل مهمة المتابعة وإمكانية الفهم أمرا عسيرا ، ولذلك فإن كل ما نستطيع عمله فى هذا السياق ، هو تحديد أبرز مجموعة من العوامل ومتغيرات الاستهداف التى ترتبط بالانحرافات السلوكية بصفة عامة ، وتسهم فى تحويل الأسوياء من الصغار والصبية إلى شباب منحرف . كما أننا نرى أن هذه العوامل إذا تعاضدت معا – جميعا أو معظمها – على فرد بعينه، وفى فترة محددة من فترات حياته ، تجعله ينحرف سلوكيا وباحتمالات مرتفعة (عزت حجازى : ١٩٨٥) .

وحتى يمكننا تقريب هذه الصورة المعقدة للقارئ فمنا بتصوير شبكة عوامل الاستهداف فى شكل شجرة تمثل عوامل الاستهداف للانحرافات السلوكية (انظر الشكل (١)) .

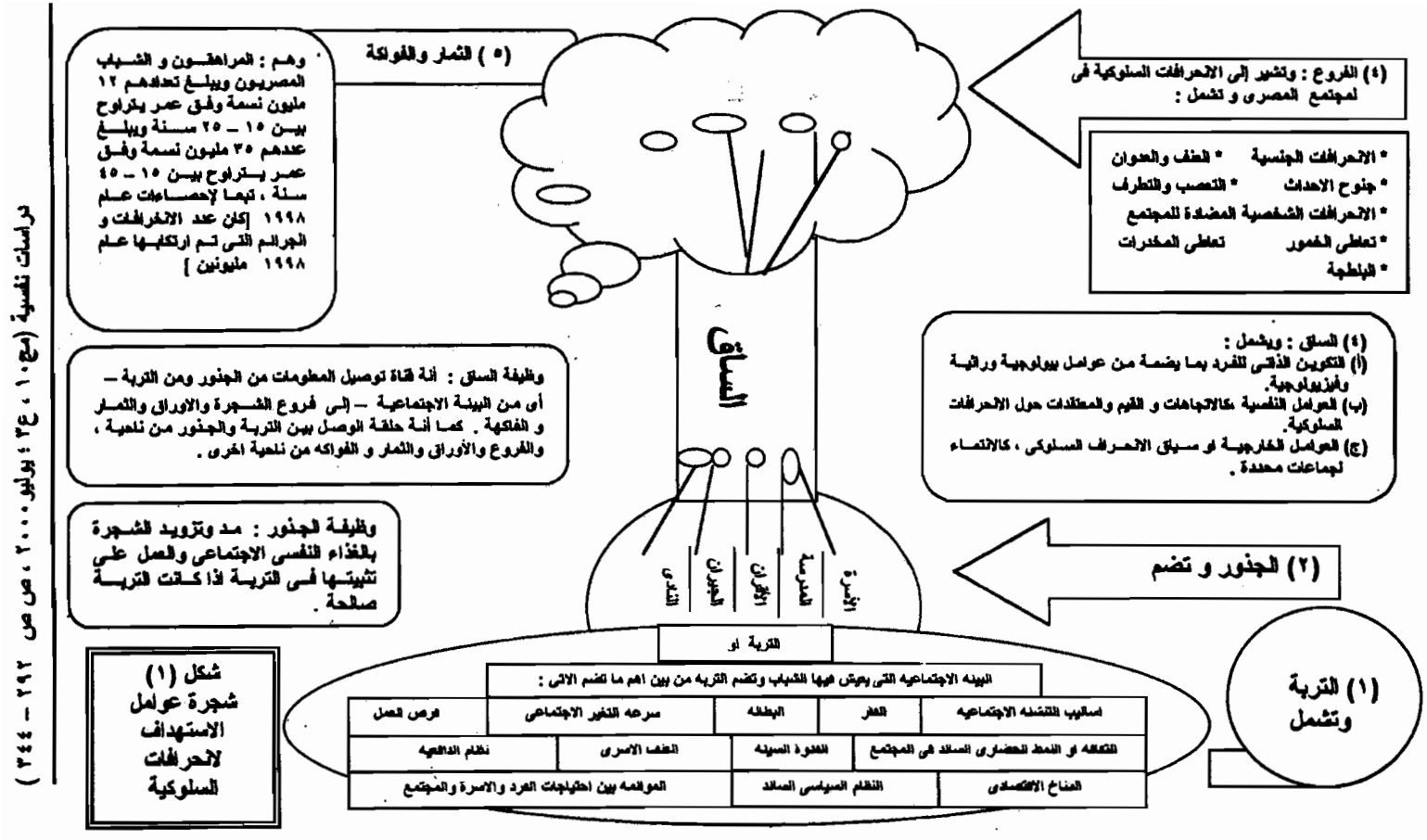

شكل (١)
شجرة عوامل الاستهداف لانحرافات السلوكية

إننا إذا دققنا النظر فى هذه الشجرة، سنجد أن أبرز هذه العوامل ، هى العوامل الشخصية والذاتية للفرد المنحرف ، وتضم كثيرا من الأسباب الحيوية الوراثية وكذلك البيوكيميائية والفيزيولوجية ، كما تضم كثيراً من الأسباب النفسية ، كالاتجاهات والقيم والمعتقدات والتفكير الإيجابى فى مقابل السلبى حول الانحرافات السلوكية بكل أنواعها ، كما أنها تضم التربة أو البيئة الفيزيائية والاجتماعية التى يعيش فيها المنحرف سلوكيا ، بما تضمه من عوامل ثقافية محددة ، وأساليب أسرية فى التنشئة الاجتماعية ، وجماعات الجيران والأقران من الزملاء والأصدقاء ، ومصادر المعلومات عن الانحرافات من وسائل الإعلام وخلافه ، كما تضم السياق الذى يتم فيه الانحراف ، كالمدارس والجامعات ، والنوادى ، وسياق العمل .. الخ .

هذا عن المشاهدة الأولى لهذه الشجرة ، أما المشاهدة الثانية ، فهى تجيب عن سؤال مفاده ولماذا الشباب بوجه خاص ؟ تكمن الإجابة فى أنه بالإضافة إلى أن الشباب المصرى هو عماد الأمة ، وعليه حمايتها ، كما أنه هو جوهر مستقبلها ، فإن تعداده وفقا لإحصاءات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لعام ١٩٩٨، يبلغ اثنى عشر مليونا إذا اكتفينا بالمرحلة العمرية التى تقع بين ١٥ – ٢٥ عاما ، ويبلغ تعداده ٣٥ مليونا إذا زاد المدى العمرى بحيث يتراوح بين ١٥-٤٥ عاما .

ولكن المشاهدة الثالثة التى يجب أن نقف أمامها طويلا ، ولا نهوّن من شأنها، أن عدد الانحرافات والجرائم التى تم ارتكابها فى عام ١٩٩٨ أيضا بلغ مليونين ، فهذا الرقم يمثل دولة من المنحرفين إذا ما علمنا أن كل انحراف سلوكى أو أية جريمة قد ينهض بها واحد على الأقل ، ناهيك إذا قام بتنفيذها أكثر من فرد ، فإن العدد ربما يتضاعف ، ومن ثم فإننا نرى أن كثيراً من أشجار عوامل الاستهداف فى المجتمع المصرى بحاجة ماسة وشديدة للتسوية والتهذيب والإصلاح وفى حاجة لمكافحة ما أصابها جميعاً من أمراض واضطرابات وانحرافات حتى تصبح سوية مثل بقية الأشجار الأخرى الصالحة. وأهم عناصر الإصلاح التى يمكن لعلم النفس أن يقدمها هى برامج الوقاية بمستوياتها الثلاثة ، وبرامج تعديل السلوك الإنسانى ، وعلاج كثير من الاضطرابات النفسية المرتبطة بكثير من أشكال الانحرافات . وهذه العناصر الإصلاحية التى يمكن أن يقدمها علم النفس ينبغى أن نعظم شأنها قدر تعظيمنا لحاجة هذه الأشجار الفاسدة للشمس والماء والهواء والغذاء

والتربة الصالحة لا التربة المالحة ، ومن ثم فإن علم النفس قد يقدم خدماته بشكل مباشر إلى التربة ، وفى أحيان أخرى إلى الجذور ، وفى مرات ثالثة إلى الساق والأفرع ، ولكن اهتمامه الدائم ينصب على رعاية الثمار والفواكه ، وهم المراهقون والشباب الذين يتوقف عليهم التقدم والتفوق أو الإخفاق والتخلف .

وعلى الرغم من اهتمام علماء النفس بجمع بيانات دقيقة حول جميع أنواع الانحرافات السلوكية التى تشيع فى مناطق ودول محددة فى كل أنحاء العالم ، فإن المعلومات التى أمكنهم الحصول عليها تفترض أن جميع الانحرافات السلوكية لدى المراهقين والشباب تتشابه – إلى حد كبير – من دولة إلى أخرى (: Chalk & King 1997: Walker; 1998)

ومن المعروف أن المؤتمر الدولى الرابع للمرأة الذى عقد فى الصين عام ١٩٩٤ تحت رعاية الأمم المتحدة ، وجّه سؤالاً لكل الأعضاء المشاركين فيه من كل دول العالم يدور حول نسب الإصابة والانتشار للانحرافات السلوكية بعامة ، والعنف الأسرى والمجتمعى فى كل دولة من دولهم ، وكذلك الخطط الوقائية والعلاجية التى يتم تقديمها لمساعدة الضحايا من الأطفال والصبيان والفتيات والسيدات .

وجاءت الإجابة بأن الانحرافات السلوكية بصفة عامة وشيوع الاغتصاب والعنف المنزلى وتعاطى المخدرات ، والتسرب من التعليم الرسمى ، والانتحار ، والانخراط فى جماعات خارجة على القانون بصفة خاصة تشيع فى كل الدول . على أن كل الوفود المشاركة فى المؤتمر قدمت إجابات شديدة التباين والتضارب حول نسب انتشارها والإصابة بها ، وحول خطط الوقاية والعلاج لمواجهتها (United Nation : 1996) . كذلك كان من الملاحظ على البيانات التى تم تقديمها فيما يتصل بنسب الاغتصاب والتعاطى والعنف المنزلى ضد المرأة ، أنها قد ارتفعت معدلاتها بشكل شديد الدلالة على مدى عشرين عاما ، (وهى الفترة التى مرت بين عام ١٩٧٥وهو موعد انعقاد المؤتمر الأول وعام ١٩٩٤، وهو موعد انعقاد المؤتمر الدولى الرابع للأمم المتحدة بالصين ، والذى أشرنا إليه مسبقا) .

ولكن المشاهدة الأعظم فى هذا الاتجاه ، أن جهود علماء النفس فى كل أنحاء العالم قد تعاظمت كذلك ، بهدف حصار هذه الانحرافات السلوكية الفتاكة من قبل الشباب ، ومن ثم فقد كشفوا كثيراً من أسبابها ، والعوامل المرتبطة بها والمؤدية إليها ، ومحاولة منعها أو تبطىء معدلاتها ، ووضعوا كثيرا من برامج الوقاية والعلاج لضحايا هذه الانحرافات فى الفترة نفسها وهى التى لا تتجاوز عشرين عاما .

ويبقى لنا أن نقدم تخطيطا بصريا للبعُد الذى يمثل التدريج المتصل لدرجات الاستهداف للانحرافات السلوكية ، وفقا لمكونات شجرة العوامل والمتغيرات المرتبطة به.

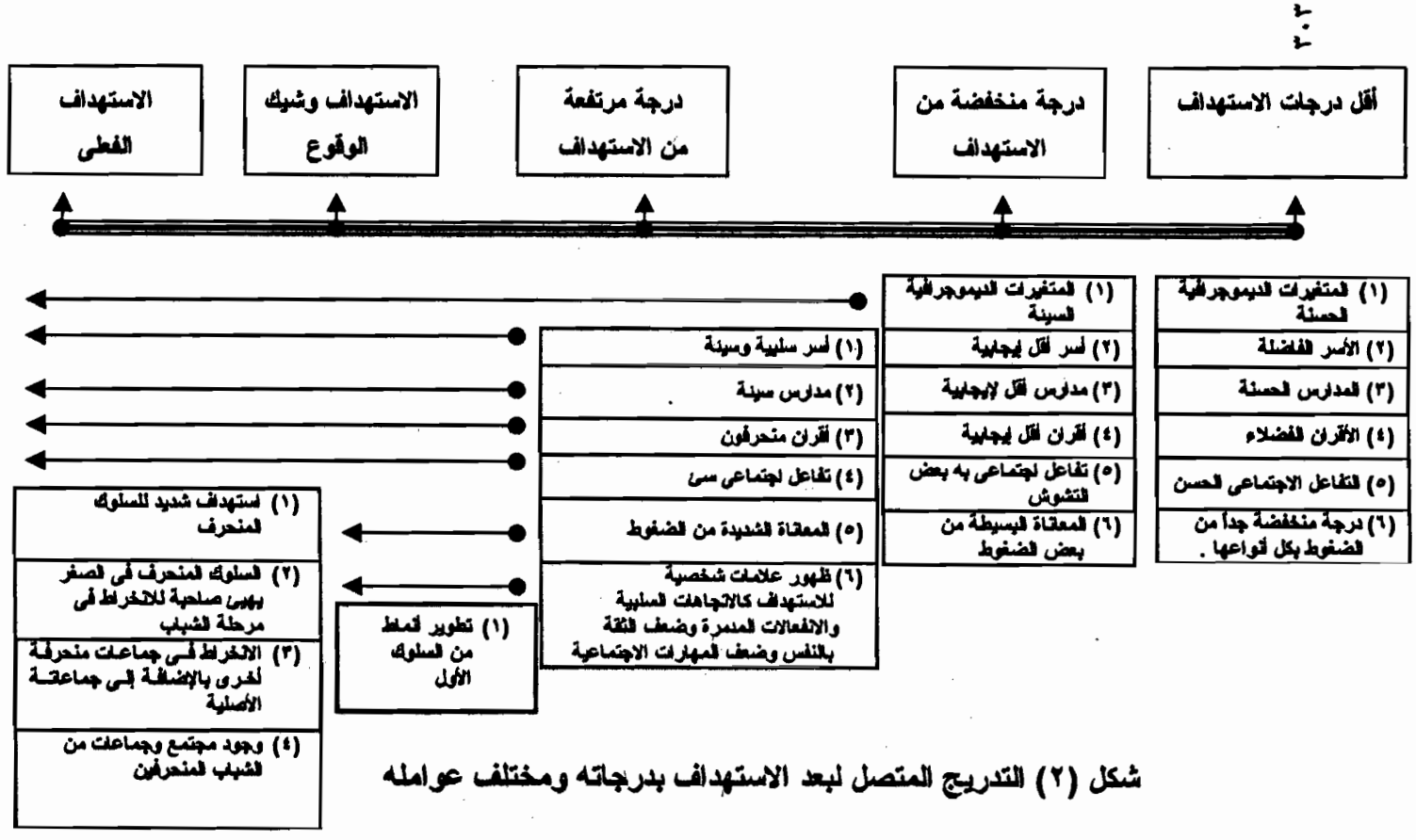

شكل (٢) التدريج المتصل لبعد الاستهداف بدرجاته ومختلف عوامله

إن النظرة المدققة لهذا البعد الذى يمثل مختلف درجات الاستهداف وعوامله ، يمكن أن تكشف لنا عن أن الدرجة المرتفعة من الاستهداف للانحرافات السلوكية بكافة أشكالها ، وكذلك الاستهداف وشيك الوقوع، والانخراط الفعلى فى سلك الانحراف أو الانضمام لإحدى الجماعات المنحرفة أو لإحدى العصابات ، أو تفريخ أبناء وزملاء منحرفين جُدداً من المخزون الاستراتيجى من الصبية والفتيات المهيئين نفسيا لذلك ، يقف خلفها شبكة ضخمة من العوامل والمتغيرات الشخصية (المتغيرات الحيوية والنفسية) ، والمتغيرات الاجتماعية، ومتغيرات السياق البيئى الذى يقع فيه الانحراف . ومن أبرز هذه العوامل، والمتغيرات الديموجرافية السيئة ، (مثل كون المنحرف ذكرا مراهقاً أو شاباً ، ويقطن فى أماكن عشوائية أو متطرفة أو يصعب الوصول إليها من قبل سلطات السيطرة والضبط الاجتماعى ، وكونه يعانى من البطالة ، وكونه بعيدا عن المراقبة لأنه يسكن بمفرده ولا يقيم مع الأسرة) ، وينتمى لأسرة مفككة وسلبية ، ويمثل أفرادها نماذج من القدوة السيئة ، وله زملاء من الأقران المنحرفين ، ويسود بينهم قانون العنف والعدوان كوسيلة للتفاعل الاجتماعى ، لأنهم يتسمون بالاندفاعية والشطط والتعدى .والانفلات ولا يستطيعون تأجيل الاستجابة أو السيطرة على سلوكهم بسبب انخفاض ذكائهم ، ولكونهم ذوى شخصية مناهضة للمجتمع ولقيمه ، كما أن اتجاهاتهم نحو المجتمع والآخرين ونحو أنفسهم ونحو المستقبل سيئة وسلبية ، وهم ذوو انفعالات وتغيير مزاجى مدمر ، ويتسمون بالتصلب والدوجماطيقية وضعف المهارات الاجتماعية التوافقية ، وتدنى الثقة بالنفس وبالآخرين .

العوامل والمتغيرات المفسرة للانحرافات السلوكية :

أولا : العوامل المتصلة بالتكوين الشخصى للفرد.

وتضم كلاً من العوامل الحيوية الوراثية والبيوكيميائية ، والعوامل النفسية والنفسية الاجتماعية .

(١) العوامل الوراثية البيوكيميائية :

يحاول أصحاب النظريات الحيوية "Biological theories " البحث عن أعراض ودلائل لهذه المحددات إما فى الخواص الوراثية التى يرثها الإنسان المنحرف عن أسلافه ، أو فى الملامح والأبعاد الظاهرة للجسم أو فى قسمات وجهه ، أو نمط بنائه الجسمى ، أو فى

تكوينه الجبلى ، أو فى البيئة الداخلية لجسمه " (محمد شحاته ربيع وآخران : ١٩٩٥، ٩١) .

وكان من أبرز الآليات التى تم الاعتماد عليها فى تحديد السلوك المنحرف :

(أ) وراثة الجينات Genetic Inheritance من خلال الاختلالات الوراثية المعروفة باسم الكروموزوم الزائد Extra Chromosome الذى يؤدى إما إلى السلوك المرضى Pathological behavior أو إلى حالات الانحراف السلوكى أو السلوك المنحرف Deviant behavior ، كالشخصية المضادة للمجتمع والشخصية المنفصلة عن المجتمع Dyssocial personality.

(ب) المحددات التكوينية أو نمط بنية الجسم الذى قد يكون السبب فى الانحرافات السلوكية ، ومن أبرزها نظرية كرتيشمر التى قسمت الناس إلى أربعة أنماط هى : النمط الواهن والمكتنز والرياضى والمختلط أو المشوّه ، وقسمهم مزاجيا إلى النمط شبه الفصامى ، وشبه الدورى وشبه الصرعى ، وربطها بين النمط المختلط وشبه الصرعى على أنه أكثر الناس استعدادا للوقوع فى الجريمة وكافة أنواع الانحرافات السلوكية . وذكرها أن النمط الرياضى يرتكب انحرافات السرقة والغش البسيط ، ويرتكب النمط المكتنز انحرافات الخداع والغش بصورة عامة ثم العنف والعدوان بصفة خاصة. أما النمط المشوّه أو المختلط فهو يقع فى الانحرافات الجنسية والأخلاقية المنافية للآداب وارتكاب بعض جرائم العنف والعدوان . وفى الاتجاه نفسه سارت نظرية " شيلدون " فى الربط بين التكوين الجبلى والانحرافات السلوكية (ريتشارد سوين : ١٩٩٨ ؛ ريشارد لازاروس : ١٩٨٨، مترجم) .

(ج) الاضطرابات البيوكيميائية Biochemical abnormalities . يفترض عدد من الباحثين أن بعض الاضطرابات البيوكيميائية ذات الطبيعة الفيزيولوجية كزيادة إفرازات الغدد الصماء أو نقصها ، والاضطرابات فى عمليات التمثيل الغذائى Metabolism من شأنها أن تؤدى إلى الانحرافات السلوكية لأنها تفسد دوافعه وسلوكه مما يسبب انحرافاته . كما يربطون بين الانحرافات السلوكية وإصابات أعضاء الحس ، كالعاهات البصرية والسمعية ، حيث يرون أن عجز الحواس له أثره المباشر فى السلوك ، لأنه يعوّق مؤثرات البيئة عن الوصول إلى الفرد ، كما يؤدى إلى شعور صاحبه بالدونية والنقص ، حيث يترتب عليه كثير من المشكلات النفسية التى تؤدى بدورها إلى اضطراب الشخصية، وانتهوا إلى أن التشوهات الجسمية

والعيوب الخلقية ترتبط ارتباطا وثيقا بالسلوك المنحرف .

إن من أهم الخصال النوعية التى ينظر إليها على أنها الأقل تأثرا بالعوامل الوراثية ، وفى الوقت نفسه ذات تأثير فعال فى نشأة الانحرافات السلوكية والنوع Gender والذكاء ، والشطط والاندفاعية . والجنس أو نوع المنحرف عادة ما يهمل فى الدراسات النفسية الاجتماعية للانحرافات السلوكية ، اعتمادا على أن الذكور بصفة عامة ، والشباب منهم بصفة خاصة يرتكبون من المخالفات والجرائم أضعاف أضعاف ما يرتكبه الإناث، " فقد تبين أن عدد الذكور الذين يتم القبض عليهم فى أى مكان منتهكين القانون ، يفوق عدد الإناث بتكرار يتراوح بين خمسة إلى خمسين مرة "(ربيع وآخران : ١٩٩٥ ، ١٣٨) .

وتفترض النظرة التكاملية للنموذج الحيوى النفسى الاجتماعى فى تفسير منشأ الانحرافات السلوكية ، أنه من المستحيل القول بأن الفروق بين الذكور والإناث فى الانحرافات السلوكية ترجع فقط إلى أى من الوراثة أو التنشئة الاجتماعية ، لأن هذين العاملين مرتبطان ارتباطا معقدا ، بينما العامل الحيوى المحدد للسلوك المنحرف، والذى يجعل الرجال أكثر عرضة للانحراف من الإناث ، هو نمط الجسم الرياضى Mesomorpholic .

وفى إطار منهج احتمالات أو قابلية الشخصية المنحرفة للتوريث Heredibility of personality ، بدأ "إرفنج جوتسمان Irving Gotessman " (أعوام ١٩٦٦ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٦) سلسلة من الدراسات على عدد يزيد على واحد وثلاثين ألفا من التلاميذ ، وحتى انتهى إلى تحديد ١٦٣ زوجا من التوائم المتشابهين فى الذكورة والأنوثة ، وقام بتسجيل أسمائهم والاتصال بهم ، ولم يتمكن إلا ٦٨ زوجا من بين هؤلاء التوائم من التعاون معه فى بحثه. ثم تم تشخيص هؤلاء التوائم تشخيصا دقيقا من حيث أحادية اللاقحة أو ثنائيتها على أساس فصيلة الدم . وتبين أن نصف المجموعة كان أحادى اللاقحة ، فى حين كان نصفها الآخر ثنائى اللاقحة . كما تم تقدير السمات التى يبدو أنها كانت أكثر تأثرا بعنصر الوراثة . " وقد رأى الباحث أن بعد السمة مرتبط بالوراثة إذا كان التشابه بين درجات التوائم المتطابقة Identical twins فيها يزيد بدرجة ذات دلالة إحصائية على التشابه فى ذلك بين التوائم المتآخية Fraternal twins . وقد جاء أن بعد الانبساط – الانطواء فى الشخصية كان على رأس السمات التى

تأثرت بالوراثة ، وكذلك الانسحاب والعزلة الاجتماعية .

وفى مجال السمات الشخصية المنحرفة، تبين أن الشخصية المناهضة للمجتمع تتأثر بالوراثة بدرجة جوهرية ، وكذلك السمات العدائية والعنف والعدوان . ولكن كان هناك خلاف حول قابلية شرب المسكرات والاعتماد على المخدرات للتوريث (ريتشارد سوين : ١٩٨٨، ٣٢). ومع ذلك ، فقد أشارت بعض الدراسات المصرية التى ربطت بين الانحرافات السلوكية لدى المراهقين والشباب وتعاطى المخدرات والمسكرات ، إلى " أن التعاطى والإدمان يغلب على عائلات المدمنين أكثر جوهريا من العائلات غير المدمنه " (مصطفى سويف : ١٩٩٦ ؛ ٦٨- ٦٩) . وفى إطار منهج ضبط التوائم المتماثلة أو المتطابقة للقابلية لتوريث الانحرافات السلوكية فى مجال شرب الخمور ، تبين أن معدل انتشار إدمان الكحولات داخل أزواج التوائم المتماثلة يبلغ ضعف معدل الانتشار بين أزواج التوائم غير المتماثلة (٥٨% فى الأولى مقابل ٢٨% فى الثانية) .

وانطلاقا من الدراسات التى اعتمدت على منهج التبنى ، يقول (سويف : ١٩٩٦) ، أنه قد أجريت مجموعة من الدراسات فى كل من السويد والولايات المتحدة والدنمارك ، وأشارت نتائجها جميعا إلى غلبة العامل الوراثى ، بمعنى أن الأبناء الذين كانوا ينحدرون من أباء مدمنين للخمور يزيد معدل انتشار الإدمان بينهم إلى نحو أربعة أمثال معدلة بين الأبناء الذين ينحدرون من آباء كانوا غير مدمنين ، وذلك على الرغم من التنشئة الاجتماعية فى بيئات التبنى التى لا يوجد فيها الإدمان (Anthenelli & Schuckit : 1992).

غير أن كل النتائج السابقة لا يجوز أن تؤخذ على أنها حاسمة فى الكشف عن دور الوراثة فى هذا الإدمان ، إذ إن هذه النتائج نفسها يمكن أن تكون مترتبة على التفاعلات السلوكية بين الأشخاص داخل محيط الأسرة. ومن ثم فإن أقصى ما يقال فى صالح العوامل الوراثية ، إن نتائج بحوث " شجرة العائلة " تقوم أمامنا كقرائن لا كأدلة أو كبراهين محددة فيما تشير إليه من معان (المرجع السابق ، ٦٩) (راجع شكل ٣) .

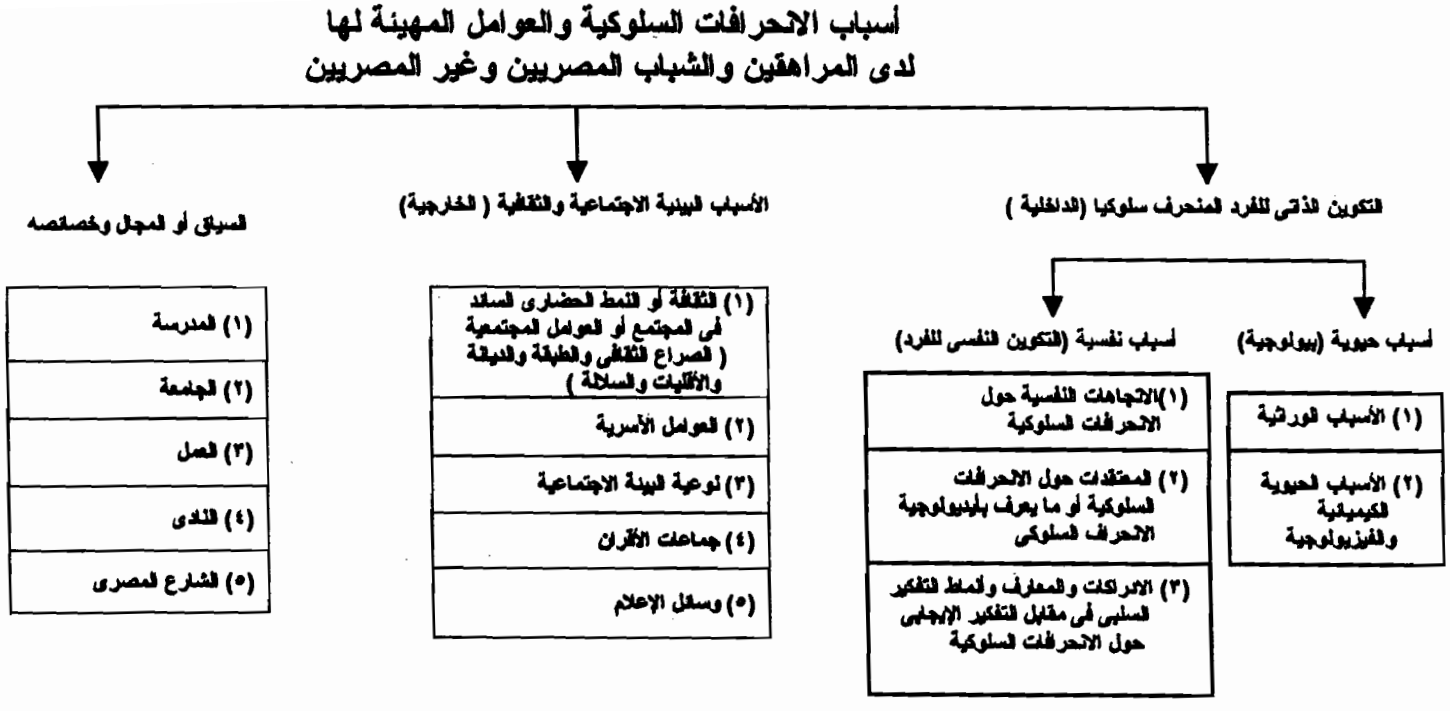

شكل (٣) أسباب الانحرافات السلوكية والعوامل المهيئة لها

وصفوة القول فى دور العوامل الوراثية والبيوكيميائية ، أن كل التفسيرات التى وردت لتطويل منشأ الانحرافات السلوكية ، ترتبط بالحتمية الحيوية (البيولوجية) ارتباط السبب بالنتيجة ، ومن ثم فنحن نرى أنها تفسيرات ليست موفقة لأنه لا يوجد ما يسمى بكروموزوم أو صبغ الإجرام أو الانحراف السلوكى ، لأن الوراثة تترك لنا استعدادا للانحراف السلوكى وليس قدرات ومهارات فاعلة ، كما أن الانحرافات السلوكية لها جوانبها النفسية والاجتماعية والثقافية ، وهى ليست خصائص جسمية مرضية ثابتة ، بالإضافة إلى أنها فى الأصل صفات ثقافية يطلقها المجتمع على بعض أشكال السلوك وأنماطه بما يتناسب مع نظمه الدينية والاقتصادية والسياسية ، وقيمه ومعاييره ومعتقداته السائدة . كما أن تصور المجتمع لما يعد سلوكا منحرفا أو إجراميا يتغير من وقت لآخر باختلاف الظروف التى يمر بها . ومن ثم " فإن غاية ما يمكن قوله وقبوله إن الخصائص الوراثية ، كالاختلافات الغُدية والعصبية والكيميائية ، أو بعض أوجه القصور الجسمى الذى يعانى منه بعض الأفراد ربما يكون السبب وراء معاناتهم من توترات انفعاليه تقلل من كفاءة توافقهم مع البيئة الاجتماعية بقيمها ومعاييرها والعقيدة والدين ، وهذا ربما يدفعهم إلى إتيان نماذج سلوكية يصفها المجتمع بأنها انحرافية أو حتى إجرامية " (وريع وآخران : ١٩٩٥، ٢-٩٣) .

(٢)العوامل النفسية .

وتضم خصال الشخصية المزاجية والاتجاهات والقيم والمعتقدات أو ما نطلق عليه مسمى التكوين النفسى للفرد. والانحرافات السلوكية ، وفقا لهذا النوع من المتغيرات والعوامل تعد محصلة لسيادة أنماط مزاجية سلبية ، كالكآبة ، والشعور بالهم والحزن واليأس ، والتشاؤم ونوبات النرفزة والعصبية والغضب الشديد ، وخاصة فى المراحل المبكرة من العمر (Bemak & Keys :2000,16) . كما أنها تعد محصلة لفشل الفرد فى التوافق مع القيم والمعايير ومختلف أشكال السلوك المقبول من المجتمع . فبدلا من أن يتمثل الفرد قواعد المجتمع التى تسود فيه ، يخرج عنها بصورة تتراوح بين الانحراف السلوكى البسيط إلى الانحراف السلوكى الشديد ، ومن ثم فهو بقدر ما يكون خارجاً على القانون ، يكون متخطيا لكل حواجز التحريم الاجتماعى (Horton & Lezly :1976) .

وتشير بعض الدراسات النفسية إلى أن شخصية المنحرف تتسم بالاندفاعية والشطط

والتعدى فى الفعل والقول ، ونقص الشعور بالتفهم والتعاطف مع الآخرين ومن قبلهم، ونقص الشعور بالتعاطف مع مشاعر الآخرين ، والحرص على جرح مشاعرهم ، والعجز عن السيطرة على الأفكار والمشاعر والمزاج والسلوك . كما يتسم المنحرفون بسوء معاملتهم صغاراً ، ووجود تاريخ من المعاناة من العنف والقسوة ، ووجود تاريخ من فرط الحركة المرتبطة بالقابلية الشديدة لتشتيت الانتباه (Op.Cit., 17) .

ويمكن لمتغير صراع القيم Value conflict أن يفسر عددا كبيرا من الانحرافات السلوكية الناجمة عنه . فإذا ما حدث صراع بين القيم المالية والاقتصادية من جانب والقيم الأخلاقية والدينية من جانب آخر ، حول بعض النشاطات التى ينظر إليها المجتمع على أنها طبيعية وسوية ، كالتجارة مثلا ، فإن هذا النشاط إذا أحيط بسياج أخلاقى ودينى يحبذه المجتمع ، أما إذا ضعفت القيم الدينية والأخلاقية لدى الفرد فإنه حتما سينحرف ويسلك سلوك الغش والخديعة وعقد صفقات مريبة ، واحتكار السلع . وكذلك قد يمتد لتجارة المخدرات ، وقد ينجرف لكل ما يرتبط بها من انحرافات أخرى . وهكذا تظهر مجموعة من الانحرافات السلوكية بنفس المنطق كالمقامرة ولعب الميسر، والبغاء والدعارة وكل الانحرافات الجنسية .

كما يشيع صراع القيم بين الأجيال فى المجتمع الواحد بل ربما داخل الأسرة الواحدة ، وأثناء عمليات التنشئة الاجتماعية فى إطار ثقافى بعينه ، كالصراع بين الصدق والكذب ، والأمانة والخيانة ، والشرف وانعدام المروءة ، والعدل والظلم ، والمساواة والتفرقة ، كقيم تم تعلمها من مؤسسات التطبيع الاجتماعى ، كالمدرسة والبيت والأقران والجيران والعمل . وقد يتبدى الصراع بين الاتجاهات الإيجابية المتشدق بها نظرياً ولفظياً وقولياً وما نجده من ممارسات واقعية على مستوى التصرفات الشخصية ، مما يؤدى إلى فقدان الثقة فى الأجيال المتقدمة من قبل الأجيال المتأخرة الحديثة ، وفى كل من يتشدق بها، الأمر الذى يرفع الاستعداد للانحراف بعيداً عنها ، باعتبار أن الانحراف أصبح المدخل المناسب للتعامل مع الواقع . ونحن نرى أن صراع القيم يجعل الخط الفاصل بين الانحراف والسواء خطا دقيقا للغاية، وبصفة خاصة فى مجال ممارسة العمل فى كل مهنة من المهن المختلفة ؛ بمعنى أن الإشارة هنا تنصرف للحدود بين ارتكاب المخالفات والانحرافات السلوكية ومتطلبات نجاح الفرد فى أدائه لمهنته . وكلما اختفى هذا الخط الفاصل توقعنا مزيدا من

الانحرافات السلوكية ، بسبب هدر رموز السلطة ومن نتوسم فيهم القدوة نظرا لاحترامهم لهذه القيم .

تاهيك إذا كانت ثقافة هذا المجتمع أو أبناء هذه المهنة أو العمل تقوم على إبراز قيمة النجاح بالوسائل غير المشروعة فى ظل منافسة غير شريفة . كما نرى أن صراع القيم قد يخلق مشكلات وانحرافات قد تستعصى على الحل .

ومن العوامل النفسية التى ترتبط بالانحرافات السلوكية انخفاض القدرات العقلية كالذكاء مثلا ، فقد أشار بعض الباحثين (Bemak & Keys : 2000) إلى أن متوسط ذكاء المنحرفين سلوكيا ، حتى لو كانوا مجرمين يقل عن متوسط ذكاء الأشخاص العاديين مع تثبيت معظم المتغيرات الأخرى كالعمر وبعض الخصال الشخصية بينهما ، ثمانى درجات (٩٢ درجة) ، ومن ثم فهم يتسمون بالجمود والتصلب وضعف الاستفادة من الخبرة السابقة نظرا لتعلمهم البطىء وفقدانه بسرعة لانخفاض مستوى الاستثارة Arousal level لديهم – كما أشار أيزنك إلى ذلك – كما أن فهم العواقب المعقدة المترتبة على انحرافاتهم ، وفهم القوانين يعد أمراً عسيراً بالنسبة لهم، ومن ثم فهم يتسمون بالعجز عن اتخاذ القرار المناسب لهم ولمجتمعهم وما يسود فيه من قوانين ومعايير وقيم . كذلك تبين أن لديهم إرادة ضعيفة أمام إرضاء حاجاتهم إذا ما قورنوا بالأشخاص العاديين ، بالإضافة إلى بدنهم محاولة الانحراف وانتهاك القانون فى عمر مبكرة تدور حول الثامنة إلى الثانية عشرة باتحراف معيارى سنتين بالزيادة أو بالنقص . وهذا هو العمر المنوالى الذى يعد منبئا سيئا للوقوع فريسة لتعاطى المخدرات وشرب المسكرات لدى الشباب فى المجتمع المصرى. فقد أشارت بحوث تعاطى المخدرات لدى تلاميذ الثانوى العام والثانوى الفنى ، وكذلك شرب المسكرات إلى أن التعاطى المنتظم والاعتماد على المخدرات الطبيعية (الحشيش والأفيون) لا يحدث إلا إذا كان الشاب قد جرب التعاطى وبدأ فى سن ثمانى سنوات إلى عشر . كما تشير بعض الدراسات إلى أن العوامل المنبئة بالعود Recidivism فى حالة السلوك الإجرامى هى بالنسبة للمذنبين الأسوياء والمذنبين المرضى بأمراض عقلية . وهذا صحيح فى حالة السلوك الإجرامى عامة ، أى المصحوب بالعنف ، وغير المصحوب به . ويعتبر تاريخ السوابق الإجرامية للمذنب أكفأ من الاعتماد على الأعراض والعلامات المرضية فى التنبؤ باحتمالات الانتكاس والعود (Bonta et al: 1998)

هذا بعض ما يتصل بالمتغيرات النفسية المرتبطة بالانحرافات السلوكية من حيث المنشأ والبدء. والآن سنحاول أن نعرض لدور العوامل الاجتماعية الثقافية فى تكوين الانحرافات السلوكية .

ثانيا : العوامل الاجتماعية الثقافية ومنشأ الانحرافات السلوكية :

(١) العوامل الاجتماعية :

إن كل مجتمع يطبع على شخصية أفراده ، وإن غالبية من يعيشون فى المجتمع تتجسد فى شخصياتهم ما يكون سائدا فى مجتمعهم من دوافع وقيم وأساليب تفكير وثقافة . فمواطنو " دوبو Dobu " فى غينيا الجديدة يتسمون بالاستخفاء والخيانة والعنف والعدوان (Benedict : 1934) ، على حين أن مجتمع " الألوريز Alorese " يتسمون بالقلق وعدم الطمأنينة ويعانون من مشاعر النقص . كما أن الأحكام الخلقية فى مجتمع " الشامبولى Tchambuli " من شأنها أن تؤدى إلى قلب الأدوار بحيث تسلك النساء سلوك الرجال على حين يسلك الرجال سلوك النساء ، لأنهن مسيطرات ويتولين تدبير كل الأمور على حين أن الرجال اتكاليون عاطفيا وأقل إحساسا بالمسئولية .

على أى حال ، نحن نرى أن العوامل الاجتماعية لها دور أساسى فى منشأ الانحرافات السلوكية وارتكاب المخالفات وحدوث كثير من الجرائم ، " لأن المجرم فرد قد أحاطت به ظروف اجتماعية محددة فاندفع إلى الإجرام ، ومن ثم فإن مسئولية الجريمة لا تقع على عاتقه وحدة بل وعلى المجتمع أيضا (سويف : ٢٠٠٠، ٢٠). وتشمل العوامل الاجتماعية كثيرا من المتغيرات أبرزها ، العوامل المجتمعية Community factors ، والعوامل الأسرية ، وجماعات الأقران ، وعوامل السياق الاجتماعى . وسنعرض لدور كل منها باختصار نرجو له ألا يكون مخلا .

(أ) العوامل المجتمعية :

إن أبرز العوامل المجتمعية التى يمكن أن تسهم فى الانحرافات السلوكية مسألة إتاحة الفرصة أمام الشباب لاقتناء الأسلحة البيضاء والأسلحة النارية ، وكذلك إتاحة الفرصة أمام أسرهم لاقتنائها على الرغم من أن النظام القانونى والاجتماعى لا يسمح بذلك ، ومن ثم فأنه فى ظل أى خلاف ، وفى ظل أى ثورة من ثورات الغضب لدى هؤلاء الشباب بصفة عامة ، وفى الأحياء العشوائية والشعبية بصفة خاصة ، ترتفع احتمالات القتل أو الوصول لنتائج مميتة فى كل الأحوال أو على الأقل

الوقوع تحت طائلة القانون . ولنا فى مجتمع المدارس والجامعات الأمريكى العظة والعبرة ، لكى نمنع هذه الأسلحة البيضاء والنارية بعيدا عن أيدى الشباب تماما ، خاصة من يتسم سلوكه بالعنف والعدائية والاندفاعية لأتفه الأسباب . فقد أورد " فريد بيماك F. Bemak " وزميلته سوزان كيز S.Keys " فى كتابهما " شباب عدوانى وعنيف: خطط للوقاية وتعديل السلوك " ما نصه: " إن ٥٠% خمسين بالمائة من الأسر الأمريكية يملكون أسلحة نارية فتاكة ونصف عدد هذه الأسلحة أسلحة يدوية يسهل حملها كالمسدسات ، وإن ٢٧٠,٠٠٠ تلميذ بالمدرسة وطالب بالجامعة يذهبون إلى مدارسهم وجامعاتهم ، وبأيديهم هذه الآليات النارية ، مما يساعد على وقوع جرائم القتل والتدمير . إذن مهما كانت الأسباب ، كالحماية أو المنظر الاجتماعى " العنترى " أو إظهار قوة المكانة الاجتماعية ، فلا يجب أن نسمح بحمل أى نوع من هذه الأسلحة .

كما أن انتشار المخدرات والمسكرات بحيث تكون فى متناول أيدى الشباب ، ييسر عملية ارتكاب المخالفات التى تصل إلى حد الاغتصاب ، والتدمير والقتل الناتج عن حوادث الطرق وقيادة السيارات . ولقد أشارت البحوث المصرية والأجنبية إلى وجود أو ارتباط مرتفع بين الانحرافات السلوكية بعامة والعنف والعدوان مع الأساتذة والمعلمين والأسرة والزملاء وكثرة تعاطى المخدرات الطبيعية أو تعاطى المسكرات بصفة خاصة ، وكان الارتباط أشد قسوة فى الحالة الأخيرة (سويف : ١٩٩٨ ؛ بدر ؛ أبو المكارم ؛ عامر: ١٩٩٨ ، 19 ،2000 ،Bemak et al")

كما تبين أن المناسبات الاجتماعية السعيدة ، كالرحلات وحفلات الزفاف وقضاء نهاية الأسبوع فى جماعات ، ترفع معدلات تعاطى الخمور ، ويرتبط بها مزيد من المخالفات والانحرافات السلوكية ، بفعل قانون التيسير الاجتماعى الناتج عن ضغط أفراد الجماعة وتأثيرها عليه .

(ب) نوعية البيئة الاجتماعية :

تبين أن الفقر يرتبط بكل أنواع الانحرافات السلوكية بصفة عامة ، وبالانحرافات الجنسية واضطراباتها وبالعنف والعدوان بصفة خاصة ، بغض النظر عن النوع والجنس والطبقة الاجتماعية ، والعرق أو السلالة . ولكن أثره يكون أشد فى حالة الأعمار الأكبر عن الأعمار الأصغر وفى الذكور أكثر من الإناث ، وهؤلاء يحاولون حل مشكلاتهم المادية بالبغاء لدى الإناث ، وبالعنف

والعدوان المصاحب للسرقة لدى الرجال، كما يخفقون بهذه الانحرافات ما يشعرون به من كآبة ويأس وحسد للآخرين ، ويحققون بعض طموحاتهم فى الحياة الاجتماعية. كما تبين أن الفروق بين الطبقات الاجتماعية والفروق فى الدخول المالية تولد مزيدا من الحنق والإحباط واليأس والكآبة ، ومن ثم يأتى العنف والعدوان تعبيرا عن الحالة النفسية الداخلية إزاء مجتمع الفوارق والطبقات .

ومن أهم الانحرافات المرتبطة بالفقر كذلك السرقة بصفة عامة ، وسرقة المجوهرات والبنوك والشركات بصفة خاصة ، وتدمير ممتلكات الآخرين ، واغتصاب أبناء الأغنياء من الإناث والذكور على السواء ، أو تعذيبهم من دون اغتصاب ، ثم الانخراط فى سلك جماعات العنف والعدوان ، ثم جماعات الجريمة المنظمة لأنها تحقق لهم كثيرا مما يريدون.

ومن أهم العوامل المجتمعية التى تؤدى للانحرافات السلوكية ، البطالة وعدم العدالة فى توزيع ثروات المجتمع وشيوع الرشا والمحسوبية ، والظلم الاجتماعى ، وتدنى الخدمات الاجتماعية والصحية ، وسوء الاتصالات والمواصلات ، مع الميل للإنفاق ببذخ على المظاهر التى لا قيمة لها بالنسبة لشرائح الفقراء ، مما يبرز فى أذهان هذه الجماعات أن الحل يكمن فى العنف والعدوان وسوء الخلق ضد المجتمع بأسره. كذلك الانفجار السكانى وسوء التغذية وأزمة الإسكان ، وشيوع قيمة الفهلوة والكسب السريع بطرق مشروعة أو غير مشروعة، وحرص الإعلام على نشر قيم الرذيلة بدلا من قيم الفضيلة لكل الأعمار ، وانتشار أفلام الجنس وتعاطى المخدرات المقترنة بالعنف والعدوان ، مما يرفع معدلات الاستهداف لدى الشباب المصرى للوقوع فى كل الانحرافات السلوكية ، خاصة " وأن نتائج البحوث الواقعية (المختبرات الميدانية) ، تشير فى توجهها العام إلى تكرار مشاهدة أفلام التلفاز والخيالة (السينما) التى تعرض مشاهد العنف والجنس ، تثير لدى المشاهدين من المراهقين والشباب كثيرا من الدوافع إلى ممارسة العنف والجنس فى واقعهم الشخصى والاجتماعى (Wood et al.: 1991) . ومما يزيد الصورة سوءا انتشار حفلات موسيقى العنف وتسجيلاتها، والسماح لدور اللهو غير المباح فى المجتمع باستقبال ضيوفها من الشباب حتى ساعات الصباح الباكر ، ناهيك عن انتشار أفلام الرياضات العنيفة وألعاب الفيديو التى تصور البطل دائما بأنه من يقتل كل من يقف فى طريقه " .

(ج) العوامل الأسرية :

إن الآباء الذين يكشفون عن أنماط من العجز والضعف فى السيطرة على أنفسهم وأفكارهم ومشاعرهم ، وأحوالهم الانفعالية والمزاجية ، كما يتسم سلوكهم بالعدوانية والعنف الشديد ، يصبحون نماذج وظيفية سيئة كقدوة من الدرجة الأولى أمام أبنائهم، ناهيك إذا كانوا يمارسون حياة المجون والانحراف ، فإن الطفل الذى تتم تنشئته باستمرار على النبذ والعنف والضرب المبرح وسوء المعاملة بكل أنواعها ، نتوقع أنه يفعل كل ذلك بأقرانه فى المدرسة ثم الجامعة ثم العمل عندما يكبر . وترتفع معدلات التنبؤ لدى مثل هؤلاء الأطفال بارتكاب المزيد من السلوك الجانح ، كلما كانت نظم الأسرة فى التنشئة الاجتماعية تقوم على القسوة والنبذ والرفض والعنف والأوامر المتعارضة والاتجاهات المتناقضة بين القول والفعل ، وعدم الاتساق ، وعدم مراقبة هؤلاء الناشئة لتصحيح أوضاعهم وأفعالهم ، فتكون النتيجة الحتمية هى مزيد من الانحراف وارتكاب المخالفات ، وإدمان هذه الانحرافات السلوكية وإزمانها . وفى حالة سيطرة العنف على المناخ الأسرى بصفة عامة وبين الزوجين بصفة خاصة ، مضافا إلى ضعف إدارتهم تماما لحركة ابنائهم ، وفشلهم فى تخليصهم من العناد والفوضى وسوء النظام ، فإن مثل هؤلاء الصغار الذين يشبون فى هذا المناخ الأسرى ، تقل لديهم الفرص فى مؤسسات التطبيع الاجتماعى الأخرى - كالمدرسة والجامعة - لتعلم الطرق الإيجابية للاستجابة للصراع الاجتماعى ، ومن ثم يصبح الانحراف السلوكى جزءا معتادا من حياتهم اليومية الاجتماعية ، ويتم وصفهم بأنهم شباب مشكلون يتسمون بالعنف والعدوان وافتعال الشجار والخناقات، ويحلون مشكلاتهم بالسلوك العنيف ، ولهم لغة تتسم بالفحش والبذاءة ، ونوبات الغضب المتكرر ، وغير راضين عن شىء، ومتمردون وناقمون على المجتمع بأسره .

وإذا ما طلبت منهم تبرير انحرافاتهم العدوانية ، تجد الشباب يقول لك ما يعكس طرق تنشئتهم ، كعبارات من قبيل " إن لم تتذأب ستأكلك الذئاب ، أو إن الآخرين يسيئون الظن بنا ومن ثم يجب أن نأخذ حقوقنا منهم بأيدينا لأن أحدا لن يرد لك حقك أو الضعيف لا قيمة له فى هذا المجتمع "، إلى آخره من هذه العبارات التى تكشف عن الاتجاه العدائى نحو الأسرة ومؤسسات العدالة فى المجتمع . كما أنهم وصلوا إلى حد القناعة التامة بأنهم ليسوا على خطأ فيما يفعلون ، وأن ما حدث ليس خطئى ، لأننى أحاول الحصول على بعض

حقوقى ، وعلى ذلك نجدهم يعتدون على الأهل والآباء والأمهات والجيران بدرجة تتراوح بين التهديد اللفظى ، والوعيد بالويل الثبور وعظائم الأمور ، وصولا إلى التدمير وجرائم القتل . ولا غرو فى ذلك، فإن الأسرة كانت قد ساهمت بالدرجة الأولى فى دعم سلوك العنف والعداون وتشجيع أطفالها والافتخار بهم أمام الآخرين ، إذا ما استخدموا هذا السلوك كوسيلة أساسية فى حل مشكلاتهم مهما كانت تافهة ،ومن ثم فإن كل إناء ينضح بما فيه .

كذلك ، تشير البحوث العلمية إلى أن سيادة أساليب النبذ والرفض فى العلاقات الأسرية مع الأبناء – كما يشير جدول (٢) – بالإضافة إلى نشأة الطفل فى أسرة مفككة ومحطمة ، أو فقد أحد الوالدين بسبب الوفاة أو السفر الطويل قبل بلوغه سن السابعة، يصيب الطفل بصدمة قد يترتب عليها اضطراب نفسي ، مثل قلق الانفصال ، أو يجعله يهيم عل وجهه ، فتتلقفه أيد عابثة، فتسىء معاملته ، أو ينخرط فى إحدى العصابات أو إحدى جماعات النصب والاحتيال أو ترويج المخدرات ، أو السرقة، أو البغاء والدعارة فى حالة الفتيات . ناهيك عن توفر القدوة السيئة من الأهل الأقربين فى الأسرة ، وجماعات الحض على الانحراف ، كرفقاء السوء ، ولا نقول أصدقاء السوء ، لأنها رفقة وليست صحبة لوجه الله ، بالإضافة إلى فشل الآباء فى تعليم أبنائهم عواقب أو مترتبات أفعالهم وعواقبها الوخيمة (ريتشارد سوين : Bemak & Keys : 2000 , 1988) .

وزبدة القول فى دور العوامل الآسرية، أن ثمة عوامل من داخلها ، وأخرى من خارجها .

أما العوامل الاجتماعية داخل الأسرة ، فأهمها :

تبجيل الأسرة واحترامها للسلوك المنحرف ودعمه ، وإدراكها له على أنه مناسب للحياة مما ييسر تعلم السلوك المنحرف بكافة أشكاله ، والعجز عن تعلم السلوك الاجتماعى الطبيعى ، بسبب تفكك الأسرة أو الانفصال العاطفى أو الطلاق ، أو انهيار المستوى الأخلاقى لها مما يتعذر معه تزويد الأبناء بقواعد السلوك الاجتماعى الصحيحة ، ومن ثم فإنهم يختطون لأنفسهم المعايير الاجتماعية الخاصة بهم ، أو لأنه لا يجد من يقتدى به .

جدول (٢) نتائج البحوث التى تناولت تأثير
نوع الأسرة وما يسود فيها من أساليب للتنشئة الاجتماعية على سلوك الأبناء وشخصياتهم .

م	نوع الأسرة وأسلوبها فى التنشئة	أنماط السلوك وخصال شخصية الأبناء
١	النابذة الرافضة	الخضوع والإذعان ، والعجز عن اتخاذ القرارات ، والعنف ، والشخصية السادية العدوانية ، والنرفزة والعصبية . وظهور كثير من المشكلات التوافقية كالخجل الاجتماعى والعناد ، وانعدام الشعور بالأمن والطمأنينة ،والتمرد العصيان .
٢	الافراط فى الحماية ومعاملته على أنه لا يزال رضيعا	السلوك التجنبى ، والغيرة المرضية ، والخنوع ، وصعوبات فى التوافق الشخصى والاجتماعى ، ومشاعر انعدام الأمن ، والنرفزة والعصبية ،والعدوانية الشديدة أحيانا .
٣	العنف والقسوة والسيطرة	يمكن الاعتماد عليهم ، ولكنهم يكونون غير متعاونين بالمرة ، والجرأة والبذاءة وافتعال المشاجرات ، مع اللامبالاة وعدم الاهتمام بالآخرين .
٤	التناقض وعدم الاتساق	الجنوح والعدوانية ، والعجز عن اتخاذ القرار ،وعدم التعاون ،والتفكك، والتناقض ،والسلوك المنحرف كالسرقة والانحراف الجنسى ،والغيرة ، والشطط والاندفاعية .
٥	التنظم الاجتماعى المشوّة	سوء التوافق ،والعنف والعدوان ، والاغتصاب ، والقلق ، والغيرة ،والجنوح ، والانتحار ، والعدائية .
٦	التسامح المصحوب بالتساهل	الثقة الزائدة بالنفس حتى تصل إلى الغرور ، والإقدام على عقد كثير من الصداقات الحسنة ، مع عدم الامتثال للأوامر فى بعض الأحيان .
٧	الانسجام والتوافق	توافق حسن ،والهدوء ،والضبط الذاتى ،والتعاون ، والميل للاستقلالية ، والتوافق الشخصى الاجتماعى ،والثقة بالنفس .
٨	التقبل والتحبيذ والتشجيع	يواجه المستقبل بثقة ، ومستقل ذاتيا ، ويتسم بالإقدام ، ويعتمد على نفسه ،ويتسم بروح تحمل المسئولية ،ومتعاون، وقوى الإرادة ، وتقديره لذاته مرتفع ، وتوافقه حسن ويشعر بالأمن ، وحسن التصرف ، ويتسم بالدعم الداخلى والضبط الداخلي .
٩	احترام الأبناء وتبادل المشورة والرأى واللعب معهم	الجرأة والإقدام ، والاعتماد على الذات والشعور بالأمن ، وتحمل المسئولية بجدارة ، والطموح والتطلع ، والإبداع ، والقدرة على اتخاذ القرار بيسر بعد جمع مزيد من المعلومات .

ويتضح من الجدول السابق ، أن معظم التى تسود فى الأسره المفككة أو غير أنماط السلوك المضطرب والمنحرف وغير المتقبلة لأطفالها ، أو المتشددة تشددا فى الفعال يرتبط بأساليب التنشئة الاجتماعية غير موضعه . كما يغلب أن يرتبط السلوك

الحسن المرغوب اجتماعيا لدى الشباب والمراهقين بالدفء والتقبل والتسامح ، وتبادل الرأى والمشورة ، من قبل الكبار نحو الصغار من أفراد الأسرة بصفة عامة، وشخصية الوالدين بصفة خاصة ، وأساليبهم فى التعامل معهم .

أما العوامل الاجتماعية من خارج الأسرة ، فأهمها الفقر والبطالة والحياة فى المناطق المتطرفة بالمدن والريف ، وضعف الرقابة ، وصحبة أصدقاء السوء ، ومشاكل وقت الفراغ ، والأثر السلبى لوسائل الإعلام والخيالة والتلفاز بصفة خاصة ، ومشاكل الدراسة والعمل ، مما يشعر الشباب بوجود حاجات أساسية تفتقر إلى الإشباع بالطرق المشروعة . فيبحثون عن إشباعها بالطرق غير المشروعة ، خاصة فى ظل مجتمع يشجع على الإعلاء من شأن القيم المادية، وانصراف الاهتمام عن تبنى القيم المثالية، والدينية .

(د) عوامل جماعات الأقران (الزملاء والأصدقاء)

إن جماعة الأقران والأصدقاء التى ينتمى إليها الفرد ، قد تكون من أكثر عوامل الاستهداف لارتكابه للحماقات والجناح ولكثير من الانحرافات السلوكية بعامة، والانحرافات الجنسية المرتبطة بتعاطى المخدرات والمسكرات بصفة خاصة.

ويرى بعض الباحثين " أن التأثير السلبى للأقران، ومنشأ ظاهرة " الشللية " أمر يُسأل عنه الأجيال السابقة ... وأن هذا المفهوم الجديد قد حل محل المدارس الفكرية والثقافية، بحيث يلتقى أعضاء هذه التجمعات لا حول قضايا فكرية وثقافية عامة ، وإنما من أجل " تبادل المصالح " و " عقد الصفقات المريبة التى غالبا ما يكون الآخرون ضحاياها " (عزت حجازى : ١٩٨٥ ، ١٩١- ١٩٢). كما تبين فى عدد كبير من بحوث تعاطى المخدرات المصرية (عبد الحليم محمود: ١٩٩١ ، الصبوة : ١٩٩١ ، خليفة : ١٩٩١، سويف : ١٩٩٤،١٩٩٥) ، أن أبرز الدوافع لتعاطى المخدرات والمسكرات، وجود جماعة من أصدقاء السوء يدفعون بعضهم بعضا لهذا الانحراف والاستمرار فيه، وصعوبة الامتناع عنه . والسبب وراء ذلك بوضوح ، أن الفرد يتعلم من جماعته أنماط السلوك المنحرف وفقا لمبادئ نظريات التعلم الاجتماعى بالمشاهدة وبالاقتداء السيئ. ومن ثم فإذا كانت هذه الجماعة يتسم أفرادها بالعنف والعدوان ، والإقبال الشره على تعاطى المخدرات ، والتبذل، والفحش ، فإن كل ذلك سيتعلمه الفرد منها ، لأنه يكتسب احترام أقرانه إذا ما انخرط معهم فى كل ما يفعلون ، بل

يزداد احترامهم له إذا فعله بكفاءة نادرة تشد انتباههم حتى يصبح زعيما لهم . وقد تتحول مثل هذه الجماعات إلى عصابات للسطو المسلح ، ويتخذون من التدمير وإدارة المعارك طريقا لحل الصراعات والمنازعات فى أماكن وجودهم ، وكلما نجحوا ذات مرة ، جاءهم الدعم الاجتماعى من انتشار السمعة والصيت ، ومن رؤيتهم للرعب متجسدا فى فزع الآخرين وخوفهم منهم .

(هـ) عوامل السياق الاجتماعى :
(المدرسة ، والجامعة ، والعمل ، والنوادى)

لقد أشارت مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية التى تربط بين المسافات والمساحات المكانية المتاحة ، من ناحية، والتفاعلات النفسية الاجتماعية بين الجمهور، أيا كان نوعه ، من ناحية أخرى، أن المدرسة بما يسود فيها من سوء تنظيم للأماكن ، وازدحام وانتهاك للخصوصية وللأجسام البشرية ، وخاصة عند دخول التلاميذ للفصول وعند خروجهم منها ، وكذلك عند دخول العمال وخروجهم من المصانع والمؤسسات الصناعية ، أنها تكون سببا رئيسيا فى تعلمهم كثيرا من الانحرافات السلوكية ، وكذلك الحال لدى طلاب الجامعات بصفة عامة ومن يسكنون المدن الجامعية منهم بصفة خاصة (الصبوة : ١٩٩٥ ، ٢٣ ، Bemak & Keys,2000 ,18).

كذلك ، تبين أن النظم الروتينية التى تسود بالمدارس والجامعات ، وكذلك كثير من النوادى ، وهى النظم التى تستهدف السيطرة وضبط السلوك الاجتماعى داخلها ، من دون مراعاة لإنسانية هؤلاء الطلاب ، ولا نوعهم إذا كانوا ذكورا أم إناثا ، ومن دون أن يكون لهم رأى فيها ، تبين أنها ربما تدفعهم لتعلم كثير من أنماط الانحرافات الجنسية ،لأنه مع الشعور بالازدحام الشديد، وبأنه لا رقيب ولا حسيب ، يتم تعلم الجنسية المثلية ، والإصابة بعدد من الاضطرابات الجنسية ، كاسترااق النظر، والفيتيشية ، والاستمناء ، وعادات الإشباع الجنسى السيئ ، وخلق كثير من العادات المرذولة ، فى الملبس والمظهر، وكذلك أساليب المشى والحوار الماجن ، لدى بعضهم ، مما لا يرضى عنه القائمون على الأمر فى كل هذه الأماكن .

وقس على ذلك ما يحدث اليوم من ظواهر الزواج العرفى ، و زواج المتعة، وزواج المسيار ، وتكوين جماعات البغاء والدعارة ، وجماعات النصب والاحتيال، بسبب هذا السياق والمناخ الاجتماعى المزدحم ، والذى يسود فيه السلوك

الفوضوى الغوغائى على السلوك المؤسسى المنظم (Ibid.,20) . ويكمن الحل فى الإجراءات الوقائية التى تقوم بها الأسرة والمجتمع لمنع حدوث هذه الظواهر السلبية أصلا ، بدلا من وضع حلول هى عبارة عن ردود أفعال وأرجاع انفعالية ظهرت بسبب ظهور هذه الانحرافات وانتشارها فى السياق الاجتماعى بشكل حاد .

(٢) العوامل الحضارية أو الثقافية :

تشير الثقافة Culture إلى ذلك " الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والمعتقدات ، والفنون والأخلاق ، والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التى يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا فى مجتمع " . أو هى " ذلك الكل المركب الذى يتألف من كل ما نفكر فيه ، أو نقوم بعمله : أو نتملكه كأعضاء فى مجتمع "(مايكل تومسون وآخرون :١٩٩٧ ، ٩ ، ١٠: مترجم) .

وهكذا يُبرز هذان التعريفان العناصر اللامادية لحياة الناس فى جماعة ، كالأخلاق والقانون والعرف التى تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعى ، وتأخذ طابعا إلزاميا ، إلى جانب العنصر المادى للثقافة ، بالإضافة إلى العلاقات بين الناس ، والعناصر المكونة للثقافة .

ولا يختلف هذان التعريفان كثيرا عن تعريف " ريتشارد سوين ، ١٩٨٨ لمفهوم الحضارة Civilization أو التحضر ، الذى يشير إلى " مجموع ما ينتقل اجتماعيا من الاتجاهات والقيم والمعتقدات والأفكار والممارسات الخاصة بالمجتمع ، من جيل إلى الذى يليه ، بحيث يكون لها فعلها فى تشكيل السلوك الإنسانى وضبطه وتوجيهه . " ومن ثم فإن حضارة الفرد سواء أدرك ذلك أم لم يدركه ، تتطبع فيه على الدوام ، فتهيئه وتعده نفسيا حتى يفكر ويشعر ويسلك بصورة تتفق مع ذات المجتمع ونوعه . ومع ذلك فنحن نرى أن الظروف الاجتماعية الخارجية لا تؤتى ثمارها إلا فى ظل استعداد داخلى ، وتعمد قصدى لدى الفرد ذاته ، ومن ثم لا يمكن تعميمها على كل الأفراد ، وفى كل شريحة من شرائح المجتمع .

على أية حال ، إن الدليل على إسهام العوامل الاجتماعية الثقافية أو الحضارية فى تشكيل الانحرافات السلوكية لدى المراهقين والشباب ، ينبثق عن نوعين من الدراسات، دراسات المقارنة بين الحضارات فى الانحرافات السلوكية ، ودراسات الحضارة الواحدة . وفيما يتصل بالبيانات العلمية التى أمكننا الحصول عليها باتباع منهج المقارنة بين الحضارات ، فقد ظهر

أن الأيرلنديين يتسمون بالعنف والعدوان وحب القتال والمشاكسة ، فى حين يتسم الإيطاليون بالنرفزة والعصبية والانفعالات الحادة ، ويتسم الإسبانيون بالمشاعر الملتهبة ، بينما كان البروسيون أتوقراطيين ، وكان الأمريكيون ولا يزالون نفعيين وبراجماتيين ، فى حين ظهر أن الشعوب الشرقيين ، كالهند والصين وباكستان ومصر يتسمون بالتفكير الحسى والتركيز على الانفعال اللفظى بدلا من التركيز على حل المشكلات ، كما يتسمون بالكسل وتدنى النشاط الذهنى . ونحن نرى أن هذه الأحكام مطلقة وتتسم بالمغالاة فى التعميم ، لأن الشخصية الوطنية لكل أمة من الأمم بها من التفاصيل أكثر من التعميمات ، ومن ثم فنحن انطلاقا من كثير من الأدلة العلمية لا نتفق مع معظم هذه الاستنتاجات النهائية على الرغم من موافقتنا على المنهج المتبع فى هذه الدراسات ، وهو المقارنة بين الحضارات المختلفة (انظر على سبيل المثال لا الحصر : خليفة : جلب الله : ١٩٩٨ ، محمد النابلسى : ١٩٩٩) .

أما المعلومات التى حصلنا عليها من الدراسات داخل الحضارة الواحدة فى علاقتها بالانحرافات السلوكية ، فتعتمد على مؤشرات عديدة ، أهمها الطبقة الاجتماعية، والبيئة المحلية ، وتأثير المدنية الحديثة، وتأثير الديانة، والعضوية فى جماعة عنصرية أو جماعة أقليات ، والصراع الثقافى ، وغيرها من المؤشرات الأخرى .

وكمثال على دور بعض هذه المتغيرات، كالبيئة المحلية ، فقد تبين أن البيئة المفككة اجتماعيا ترفع معدل الانحراف السلوكى لدى الشباب ، وبصفة خاصة انتشار الانحرافات الجنسية ، وعدوان التدمير ، والتطرف بسبب انهيار القيم وضعف الوازع الدينى فى هذه الشعوب . وفيما يتصل بتأثير المدنية الحديثة ، فقد ظهر أن الانحرافات السلوكية تزداد بالمدن وشبه الحضر جوهريا عنها فى المناطق الريفية ، وبصفة خاصة الاغتصاب والقتل ، والعدوان البدنى، وتزداد المعدلات فى المدن الكبرى عن المدن الصغرى ، وكذلك الحال بالنسبة لمعدلات الانتحار . كما تبين أن جرائم الريف كسرقة الماشية وتسميمها واقتلاع النباتات والأشجار، وإضرام النيران فى المزارع والحقول ، تختلف عن نوعية الجرائم فى المدن الصغرى والكبرى على السواء .

ويعول الباحثون فى تفسير منشأ هذه الجرائم والسلوك الإجرامى والمنحرف، على السلوك الشخصى الفوضوى والغوغائى المرتبط بتعلم قيم محددة بين الثقافات الأخرى المغايرة لعناصر ثقافته

الأصلية ، بالإضافة إلى ارتفاع معدلات الكثافة السكانية ، وشح الموارد ، بالإضافة إلى عامل الضغوط النفسية الاجتماعية بسبب تسارع عجلة الحياة وانتشار القيم المادية، واختلاف كيف الحياة الاجتماعية وأسلوبها عن السابق .

وفيما يتصل بالديانة ، فقد تبين أن معدل الاعتماد على المسكرات يكثر جوهريا بكل توابعه من قتل واغتصاب وحوادث طرق ، وتخط لكل حواجز التحريم الاجتماعى ؛ يكثر جوهريا بين المسيحيين بصفة عامة بالمقارنة باليهود ، ويبرر الباحثون ذلك بتحريم الخمر فى التوراة. ونحن نرى أن ذلك سبب ليس كافيا ولا ضروريا حتى من دون إشارة للأديان السماوية الثلاثة ، لأنها – فى حدود علمى -جميعها قد حرمتها . على أية حال ، تبين أن معدلاته تزداد جوهريا عن مثيله لدى شباب المسلمين ، على أن اليهود العلمانيين يفوقون فى ذلك كل أبناء الديانات الأخرى فى إدمان المسكرات (Snyder:1995) .

وفيما يختص بجرائم الجنس والانحرافات الجنسية ، فقد ظهر أنها تشيع بين اليهود الكاثوليك كأعلى النسب ، يليهم المسيحيون البروتستانت ، ثم شباب المسلمين . أما الجماعة العرقية ، فقد تبين أن الإيطاليين الشباب أكثر شباب العالم معاناة من الجنسية المثلية (لقربهم من ثقافة المجتمع الأفلاطونى الذى أشرنا إليه مسبقا) ، يليهم الأيرلنديون حيث الجنسية المثلية المستترة ، ويقل هذا الانحراف لدى الشباب المتزوجين فى كل الأمم والشعوب ، ويعادل هذه النسب، شيوع هذا الانحراف فى المملكة العربية السعودية ، وقطر، والبحريين . أما الاغتصاب ، فتنتشر أعلى معدلاته بين الشباب الأمريكى والكندى ثم الأوربى، وخاصة دول أوربا الشرقية، وروسيا، وتبلغ أقل معدلاته فى الدول العربية والإسلامية .

أما الصراع الثقافى ، فيرى بعض علماء الاجتماع أنه أحد أبعاد التفكك الاجتماعى ذات الدلالة فى تفسير السلوك المنحرف . وهو يعنى – أى الصراع الثقافى – صداما بين ثقافتين ، وأهم هذه العناصر القيم الدينية والأخلاق والعادات والتقاليد . ومن أهم صور الصراع ، الصراع بين قيم مختلف الحضارات ، وقيم الطبقات الاجتماعية على مستوى المجتمع الواحد، والصراع بين قيم بعض الجماعات (كجماعات المهاجرين والأقليات) وقيم المجتمع العام ، والصراع بين قيم الأجيال المتعاقبة ، مما يؤدى إلى إنتاج السلوك المنحرف ، كما يحدث داخل الجماعات العرقية أو العنصرية أو الطبقية .

وتدعم هذه الأشكال غير المشروعة من الانحرافات السلوكية من خلال معايير الثقافة الفرعية للانحراف عن القيم والأعراف والتقاليد التى يتبناها المجتمع الأكبر (شحاته ربيع وآخران : ١٩٩٥، ١٠٠) .

خلاصة القول فى عوامل الاستهداف للانحرافات أو للوقوع فى الانحرافات السلوكية ، أن هناك شبكة ضخمة من المتغيرات والعوامل التى تتكاتف معا بحيث تسبب فى النهاية هذه الأنماط السلوكية المنحرفة لدى المراهقين والشباب ، بدءا من ازدراء الآخرين واحتقارهم وإهانتهم لفظيا، وصولا إلى جرائم القتل والتدمير والانتحار الفردى والجماعى والعنف الأسرى والاغتصاب . ولذا ، فقد تبنينا فى عرضنا السابق وبصفة أساسية ، فكرة العوامل المتعددة التى تفسر وقوع الانحرافات السلوكية بين الشباب ، كما أشار إلى ذلك المنظور الحيوى النفسى الاجتماعى Bio-psychological Model ، مع استبعاد فكرة النظرية الواحدة أو العامل الواحد فى التفسير ؛ لأن ذلك أمر مستحيل إلى حد كبير. ومن ثم ، فقد تحدثنا عن دور التكوين الشخصى للفرد المنحرف ، ويقف خلفه نوعان من الأسباب هما ، الأسباب الحيوية وتشمل الأسباب الوراثية وكذلك الأسباب الحيوية الكيميائية والفيزيولوجية ، ثم الأسباب النفسية ، وتشمل اتجاهات الفرد وقيمه وخصاله الشخصية ، وكذلك أساليب تفكيره واعتقاداته المرتبطة بكل نوع من أنواع الانحرافات السلوكية . هذا عن النوع الأول من الأسباب ، وهى كما ترون أسباب داخلية. أما النوع الثانى فهو الأسباب البيئية الخارجية ، ويضم بدوره العوامل الاجتماعية التى تشمل المتغيرات الأسرية والمجتمعية وجماعات الزملاء والأصدقاء من الأقران ، ودور السياق الذى يتم فيه الانحراف السلوكى . كما تضم الأسباب البيئية الخارجية ، العوامل الثقافية أو الحضارية، وتشمل دور العرق أو السلالة والطبقة الاجتماعية ، والديانة، والبيئة المحلية، وتأثير المدنية الحديثة، وجماعات الأقليات، والصراع الثقافى بأشكاله المختلفة .

نماذج لحالات شارحة من الانحرافات السلوكية :

سنأخذ من الحالات الشارحة للانحرافات السلوكية ، ثلاث حالات ، هى : الشخصية المناهضة لقيم المجتمع ومتلكاته Antisocial personality ، والعنف الأسرى أو المنزلى Domestic violence، والثالثة من الانحرافات الجنسية وهى الاغتصاب Rape ، لتمثل قائمة الانحرافات

التى وردت فى الجدول رقم (١) السابق من ناحية ، ولنرى كيف عالجها علماء النفس من ناحية أخرى ، وكيف يمكن للقارئ أن يستفيد مما ورد فيها من معلومات وقواعد وأصول تقبل التطبيق العملى فى الحياة النفسية الاجتماعية تحقيقا لأهداف وقائية مرة ، أو لتعديل السلوك وتغييره مرة أخرى ، أو لعلاج أنماط السلوك المضطرب بسبب كثرة معاشرة هذه الانحرافات السلوكية مرة ثالثة وأخيرة .

وفيما يلى سنعرض موجزا مختصرا للمثال الأول وهو اضطراب الشخصية المناهضة للمجتمع وقيمه وثقافته وممتلكاته .

أولا : اضطراب الشخصية المناهضة للمجتمع ولقيمه ولثقافته وممتلكاته :

فى معرض تحديد خصال الشخصية المناهضة للمجتمع وتعريفها، كتب " بينل Pinel " منذ أكثر من قرن ونصف عن نوع من المرضى لا يظهر عليهم أى اضطراب فى قدراتهم العقلية ،ولكن سلوكهم يصل فى سوء توافقه إلى ما يصل إليه سلوك كثير من الأشخاص المضطربين عقليا . وهؤلاء المرضى يندرجون تحت ما كان يسمى قديما باختلالات الخلق أو الطبع ، وما يسمى حديثا باضطرابات المسلك The conduct disorders . ولا مشاحة فى الاصطلاح كما يقول العرب ما دام مدلول اللفظين أو الثلاثة واحدا ، لأن هؤلاء المرضى ليسوا بالذهانيين ولا هم عصابيون أو مرضى نفسيون حقا، كما أنهم ليسوا على الإطلاق من نوع مرضى الاستجابات السيكوفيزيولوجية . وهم وإن كانوا يتضمنون طائفة متنوعة واسعة من الخصال ، فهم يتصفون بخصلة واحدة مشتركة فيما بينهم ، هى أنه يبدو عليهم اختلال السلوك والخلق ، أى أنه يصدر عنهم من السلوك ما يمثل خرقا للقانون الخلقى السائد فى المجتمع (سوين : ١٩٨٨ ، ٤٣٧ – ٤٣٨) .

إن الأفراد من هذا الصنف تجدهم فى خلاف دائم مع السلطات ، موظفين أو عمالا أو أبناء عاديين ، ولا يمكن الاعتماد عليهم ، ويعجزون عن الارتباط بالآخرين على أية درجة من العمق ، ويتسمون بقلة النضج الانفعالى ، وانعدام روح المسئولية، وسوء القدرة على الحكم على الأمور، والعجز عن الإفادة من الخبرات السابقة ، والعجز عن إرجاء المتعة ، والإخلاص الظاهرى ولكن من غير عمق ، وشعورهم نحو الآخرين ضعيف إلى حد ملحوظ ، وقلة الدافع لديهم إلى تنمية المهارات والقدرات

والمواهب ، والاعتقاد الراسخ بأنهم فى حصانه ومنعة من القانون (Neal & Davison : 1990) .

هؤلاء الأفراد أجريت عليهم دراسات كثيرة منذ الأربعينيات وحتى اليوم بهدف الكشف عن السلوك المنحرف المناهض لقيم المجتمع وممتلكاته لديهم (See : Naimark:1996; Steiner :1999;Alloy,et al .,1999: 519 – 520) كما كشفوا عن العواقب السلبية الناجمة عنه، وانتهوا فى هذا الصدد إلى الآتى :

(١) إن أصحاب هذه الشخصية المريضة من الشباب والمراهقين يتسمون بسمة سلبية جوهرها تبنيهم اتجاها نفسيا يسوده النهب والسلب والقتل والتدمير نحو الآخرين من أفراد المجتمع ، ولهم تاريخ مرضى سيئ من النشاطات المدمرة لقيم المجتمع وممتلكاته يبدأ قبل بلوغهم سن الخامسة عشرة ، ويستمر معهم هذا التاريخ طوال فترة المراهقة ، ويكشفون عن الفشل فى تحمل المسئولية بجميع أنواعها ، ويتسمون بالهياج وحدة الطبع ، والعدوانية والعدائية، ولا يتعلمون من الخبرة السابقة كثيرا . ويتسمون كذلك بالاندفاعية والشطط ، واللامبالاة ، ويقاومون الحق ، ويجحدون الحقيقة .

(٢) كان معظم هؤلاء الشباب ذوى الميول المدمرة لقيم المجتمع وممتلكاته ، فى صباهم جانحون . وتشمل العوامل التى أدت بهم للجنوح ، عجزهم عن السيطرة على اندفاعاتهم وكذلك انحرافاتهم السلوكية، وأ نخفاض معدلات الذكاء ، ووجود قدوة سيئة من الأهل الأقربين الجانحين ، كانوا يعجبون بها ثم يقلدونها . فكانت النتيجة اقتفاءهم أثرها. وكانوا يعايشون معاناة الفقر غالبا ، ويعانون من الاتجاهات الوالدية السلبية ، ومن تنشئة تقوم على النبذ والتجاهل ، والجدب والتصحر العاطفى.

(٣) ترجع النظرية الاجتماعية الثقافية والحضارية أصحاب هذا الانحراف إلى الفقر المادى والنفسى والعقلى . وطبقا لأصول هذه النظرية ، فإن الأفراد الفقراء لديهم فرص ضئيلة فى الحصول على الموارد المادية من مجتمعاتهم ، ومن ثم فهم لا يحصلون عليها إلا من خلال السلوك المنحرف الجانح المضاد للمجتمع . ناهيك إذا اجتمع على هذا الفرد كل من الفقر وبعض العوامل الوراثية ، فإنها ستعجل بانحرافاته السلوكية .

(٤) أما المناصرون للاتجاه السلوكى، فيرون أن العوامل البيئية ، وأهمها عامل

سوء معاملة الصبية والأطفال Children abuse ، لها أكبر الأثر السلبى فى تكوين هذه الشخصية وانحرافاتها السلوكية . أضف إلى ما سبق أن فشل الآباء فى دعم السلوك الاجتماعى السوى يمكن أن يُعلِّم الطفل أن المكافآت مستقلة عن السلوك ونمطه ، فيشب هذا الطفل وهو شديد الحساسية للقواعد والقوانين الاجتماعية المرعية ، كما يجد ضالته المنشودة فى تخطى حواجز التحريم الاجتماعى بين أقرانه من الصبيان فى فترة المراهقة مما يجعله يتجه مباشرة للقيام بأنماط من السلوك المدمر لقيم المجتمع وممتلكاته .

(٥) ويركز الاتجاه المعرفى فى علم النفس على تناول الفرد للمعلومات الاجتماعية ومعالجتها وهى المعلومات التى يتلقاها من مؤسسات التطبيع الاجتماعى بدءاً من الأسرة والمدرسة وجماعات الجيران والأقران والمجتمع بأسره . ومن ثم ، فإن مثل هؤلاء الصبية والمراهقين المنحرفين سلوكيا، يتسمون بالضعف أحيانا والعجز أحيانا أخرى عن إدراك المعانى التى تتخلق عن المعلومات الاجتماعية التى ترشدهم للقيام بالسلوك الاجتماعى الملائم ، بالإضافة إلى العجز عن حل المشكلات فى المواقف الاجتماعية . ويرون أن هذه العادات الاجتماعية السيئة تم اكتسابها عبر عمليات التعلُّم الاجتماعى بالملاحظة ، وهم يتفاعلون مع ذويهم وأقرانهم.

كما يرون أن هؤلاء المراهقين والشباب يتسمون بالعنف والعدائية والتصلب الاجتماعى والعجز عن تغيير المعتقدات والأفكار الاجتماعية الخاطئة حول أنفسهم وحول الآخرين وكل العالم من حولهم، والأمر الذى يجعلهم يفشلون تماما فى معظم عمليات التفاعل الاجتماعى .

(٦) ويكشف الاتجاه الحيوى Biological عن دور عاملين كبيرين فى نشأة السلوك المنحرف لدى أصحاب هذه الشخصية ، هما الوراثة والمتغيرات الفيزيولوجية . فقد انتهت دراسات التوائم المتماثلة والمتشابهة ودراسات التبنى إلى دليل مؤداه ، أن الوراثة تؤدى دورا مهما فى تشكيل السلوك المنحرف الذى يتسم بالعنف والعدوان ، خاصة بين المجرمين من الطبقة الاجتماعية والاقتصادية المتوسطة . وتشير هذه البحوث كذلك إلى أن التداخل المتشابك بين ذوى السلوك المناهض للمجتمع ، والاعتماد على المسكرات وبعض المخدرات الطبيعية والمخلقة الأخرى ، يُشكِّله جزء كبير من العوامل الوراثية . أضف إلى ما سبق ، أن السلوك الذى يبدو أنه موروث ما هو إلا الاستعداد الوراثى الذى يرفع معدلات الاستهداف للسلوك المدمر للمجتمع ، ليس

استهدافا لنوع محدد من العنف والعدوان ، أو لإدمان مادة مخدرة بعينها، علما بأن هناك بعض الدراسات التى حددت جينات بعينها لبعض أنواع الانحرافات السلوكية .

كما أشارت بعض الدراسات إلى أن أصحاب هذه الشخصية يعانون من خلل فى أداء بعض الوظائف الدماغية ، كالتكامل والتنظيم المركزى ، والكف والاستثارة، كالنشاط الزائد فى الشق الأيسر من الفص الجبهى (Alloy,et al.:1999, .519) ، وهو ما يعد إحدى علامات " البدائية اللحائية Cortical immaturity وعدم نضجها " والعجز عن الاستجابة الطبيعية السوية للمواقف والمنبهات البيئية المثيرة للتهديد . وتفترض نظرية وراثية أخرى أن أصحاب الشخصيات المنحرفة يتسمون بالشجاعة وليسوا جبناء ، ولكنهم يبحثون فقط عن مواقف ومثيرات اجتماعية وبيئية تكون أقل تهديدا واستثارة لهم ولا يجدونها. ويوفر علم النفس البيولوجى مجموعة من الأدلة العلمية التى تشير إلى أن التفاعل القوى بين العوامل الوراثية والاجتماعية لدى الشباب يرفع معدلات إقدامهم على ارتكاب السلوك المنحرف بعامة ، وارتكاب جرائم العنف والعدوان الأسرى بخاصة .

(٧) يتسم هذا الشباب المنحرف من أصحاب هذه الشخصية بالدافعية المنخفضة جدا للتغيير الإيجابى نظرا لانخفاض مهاراتهم الاجتماعية ، ومستوى ذكائهم ، وتصلبهم ، وعياتيتهم ، والعجز عن السيطرة على أفكارهم وانفعالاتهم ومشاعرهم ، ومن ثم فإن علم النفس الإكلينيكي (العيادى) العلاجى ، يرى أن معدلات إقبالهم على الخضوع لبرامج علاجية نفسية متخصصة ستكون ضعيفة للغاية. ومن ثم ، فإن معدلات قدرة المعالجين النفسيين على تعديل سلوكهم للأفضل ستكون ضعيفة ؛ فى حين أن قلة من الباحثين المعالجين يرون أن هناك بارقة أمل فى علاج وتعديل سلوك الشباب الكحولى من أصحاب هذه الشخصية إذا ما تم علاجه بالتعاون بين العلاج الطبى لإزالة السموم والعلاج السلوكى – المعرفى الجمعى أو الفردى .

أما معظم الباحثين فى علم النفس المرضى وعلم النفس العيادى العلاجى، فيرون أن الطريق الأمثل لمنع ظهور أصحاب هذه الشخصية المدمرة لقيم المجتمع وممتلكاته ، هو الاكتشاف المبكر لهذه الحالات ، ووضع برامج وقائية لمنع الضغوط الاجتماعية التى تمارس عليها من تفجير العوامل المهيئة ، وتحولها إلى قدرات وأنماط من السلوك المنحرف الفاعل منذ البداية . ففى ظل غياب البيئة المشجعة

على ارتكاب الموبقات وكل ألوان العنف والعدوان والسلوك المنحرف ، فستظل هذه العوامل الحيوية (الوراثية والفيزيولوجية) مجرد عوامل استعداد كامن لا حركة فيه ولا حياة. وتعد مجرد نُذُر تنبئ عن احتمالات ظهور السلوك المنحرف .

ولذلك ، فإن البرامج الوقائية من الدرجة الأولى والثانية تعد من أفضل البرامج التى تقاوم متغيرات البيئة الاجتماعية المثيرة للتهديد ، وإنتاج أنماط من السلوك الاجتماعى المنحرف .

ثانيا : العنف الأسرى أو المنزلى :

يقصد "بالعنف الأسرى والمنزلى" Domestic voilence ظاهرة ضرب وأذى الرجال للسيدات أو الأبناء أو الاثنين معاً . ويتطلب القيام بالضرب المبرح للآخرين من أفراد الأسرة ، القوة الجسمية والعضلية للرجل ، لكى يوظف العنف كوسيلة للضبط والتحكم والسيطرة ، كما يتطلب تاريخا من التعود على فنون الأذى البدنى واستخدام العنف والعدوان الشديد ضد مَنْ يُسمُّون بالشركاء الحميمين Intimate partners من الزوجات والأبناء "(Corsini,R: 1994,v.4,.216) .

وعادة ما يتم تشخيص العنف الأسرى واضطرابات الاستجابة المدمرة لقيم المجتمع وممتلكاته لدى الرجال من دون النساء ، شأنهم فى ذلك شأن تشخيصهم بكثير من الزملات العدوانية التى تتسم بالعنف، ومن ثم يعد النوع أو الجنس من أبرز العوامل المهيئة لهذا النوع من الاضطراب ، بل ومن أهم عوامل الاستهداف لممارسة العنف والعدوان ، والتنبؤ بالمعاناة من اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع . ويلى الجنس الفقر كأبرز عوامل الاستهداف للإصابة بهذه الانحرافات السلوكية المناهضة للمرأة بصفة خاصة .

وتشير البحوث العلمية إلى أن ثلث السيدات المتزوجات يتعرضن للانتهاك والأذى البدنى المتكرر الذى قد يفضى إلى الاضطراب النفسى على الأقل من أزواجهن، وأن ثلثهن قد تعرضن له مرة واحدة على مدى حياتهن الزوجية . ويكون ترك منزل الزوجية هو الطريق الوحيد ، والحل الأمثل لديهن لإيقاف هذا العنف المتكرر (Steiner: 1999 , 65) . وعندما تحاول السيدات هجر هذا المناخ العنيف وتجنب الأزواج وتقليل تفاعلاتهن الاجتماعية معهم، تعشن فترة طويلة من الرعب والفزع والتهديد الذى يشمل الازدراء والاحتقار، والممارسة الجنسية على غير رغبتهن، فتصبح خبرة نفسية قريبة من خبرة الاغتصاب . وقد تجتمع على النساء اللاتى

لا تستطعن مغادرة منزل الزوجية ، أو طلب الطلاق ، مجموعة من الضغوط الاجتماعية التى تمنعها من ذلك مهما تعرضت للعنف والعدوان من الزوج ، أهمها تفكك أسرتها الأصلية ، وغنى الزوج مع الفقر الشديد فى أسرتها ، وانتفاء السند النفسى الاجتماعى ، والرعاية الاجتماعية لها ولأطفالها ، وعدم وجود ملاذ يمكن الفرار إليه . ومن ثم يكمن الحل فى النهاية فى الصبر والمثابرة على أمل أن تحل الأمور المعقدة نفسها بنفسها . أما اللاتى لا تحمّل لديهن ولا صبر ، فيهمن على وجوههن فى الأرض ، فرارا من جحيم العنف والعدوان الأسرى (Horne ,S: 1999, 55).

أما الأبناء بصفة عامة ، والفتيات بصفة خاصة فقد أقررْن بأن أهم أسباب العنف الأسرى من وجهه نظرهن تتبدى فى الحالة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة ، وغلبة العنف الأسرى على مناخ أسرة الأب التى انحدر منها أصلا ، وسوء المعاملة الجنسية، وأنهن قد تكنّ من ضمن هذه الأسباب، وبسبب دخولهن فى خبرات مبكرة للحمل غير الشرعى فى فترة المراهقة، والتهرب من المدرسة أو الجامعة وعدم الانتظام فى سلك التعليم الرسمى ، والفشل فى الحصول على شهادات علمية عالية أو متوسطة ، أو الهروب المتكرر من منزل الزوجية الذى أنشأنهن من دون الرجوع للأسرة والأب بصفة خاصة ، والتهديد المستمر للزوج بالخروج من البيت ومغادرته من دون إبلاغه وعدم العودة إليه ، والانخراط فى جماعات البغاء . أقر بكل ما سبق الغالبية العظمى من الفتيات والفتيات الزوجات اللاتى تزوجن زواجا عرفيا على مسئوليتهن الخاصة ، واللاتى ذهبن لتلقى خدمات نفسية وقانية وعلاجية متخصصة .

كذلك أشار بعض الأبناء إلى أن الفروق الدينية ودرجة التدين والفروق الثقافية والصراع الثقافى وصراع المكانة بين الزوج والزوجة من ناحية ، وبينه وبين أبنائه من ناحية أخرى يمكن أن تؤدى إلى ألوان من العنف لا حصر لها ، مما يفقدهن المساندة الاجتماعية من الأهل عند ترك منزل الزوجية (Steiner :1999 , 64) .

وقام " نيمارك Naimark" (١٩٩٦) بمراجعة أحدث تقرير أصدرته مؤتمرات الأمم المتحدة ، واستخلص منه أسباب وعواقب العنف الأسرى ضد الصبيان والفتيات والأمهات فى دول عديدة فى كل أنحاء العالم بصفة خاصة ، ولكن للأسف جاءت بعض نتائج هذه المراجعة غير مبشرة بالخير بالمرة ، إذ تبين أنه على الرغم من كل الجهود التى تبذل من قبل كل

المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لاجتثاث العنف الأسرى ضد المرأة ، والاغتصاب ضد الفتيات والشابات ، وسوء معاملة الصبية والأطفال ، فإن نسبة الانتشار والإصابة بين الضحايا لا زالت فى ارتفاع مستمر ، ناهيك عن ارتفاع معدلات الانتحار الجماعى الناجم عن اعتناق أعضاء هذه الجماعات ألوانا من المعتقدات والأفكار الدينية والاجتماعية والسياسية لا تنسجم مع ما يسود فى دول هذه الجماعات من ثقافات بعينها .

كذلك ، ظهر فى هذا التقرير ، أن العنف الانفعالى والإساءات الانفعالية Emotional abuse لا تقل خطورة ولا ترويعا للأسرة عن العنف والعدوان والأذى لهم . إن فقدان المتعة والمودة ، والحنان ، والعطف ، والحنو، والراحة والمتعة الجنسية ، والمعاناة من الخزى والعار ، والانحطاط الخلقى Degradation ، والانعزال ، كلها عبارة عن طرق وأساليب تشيع فى ربوع الإساءات العاطفية والوجدانية . ولأنها جميعا ترتبط بالعنف الأسرى ، فإنها يمكن أن تصبح وسيلة فعالة فى فرض السيطرة على الآخرين شأنها فى ذلك شأن الضرب والأذى البدنى . وكلما ازدادت الإساءات العاطفية وانخفضت الإساءات البدنية بالضرب ، احتفظ الرجال المعتدون بالقوة والسيطرة ، وازداد اطمئنان السيدات المساءات عاطفيا فى الوقت نفسه بأن الأشياء والأمور قد تحسنت إلى الأفضل، مع أن ذلك وهم لديهن ، لأن كل الذى توقف هو العنف والإساءات البدنية .

وفيما يتصل بنمط الرجال الضاربين للسيدات ، أشارت الدراسات إلى أن هناك نمطين منهما ، هما النمط (أ) ، والنمط (ب). أما النمط (أ) فهم الرجال الذين يكشفون عن نقص فى معدل ضربات القلب، كما يتحولون من حالة الاسترخاء التام إلى حالة الهياج والعنف والصراع الزواجى والأسرى. وهؤلاء يمثلون عشرين بالمائة من كل الرجال العدوانيين . ويختلف الرجال الضاربون للسيدات الذين يمثلون النمط (أ) عن الرجال من النمط (ب) فى مجموعة من المؤشرات ، أهمها :

أن ذوى النمط (أ) أشد قسوة وعنفا من أصحاب النمط (ب) ، ومن ثم فإنهم أكثر بذاءة وفحشا على المستوى اللفظى وأشد إساءة للعواطف ، وهم ينحدرون من أسر ذات تاريخ وخلفية تتسم بالعنف والقسوة، والتذبذب الانفعالى . وتنطبق عليهم جميع الخصال المناهضة للمجتمع .

أما أصحاب النمط (ب) ، فهم أقل لجوءا للعنف والعدوان والأذى البدنى وأكثر بطئا فى الوصول لهذه المرحلة ولكنهم أكثر

لجوءا للعنف العاطفى والانفعالى . ومع ذلك "فإن النتيجة التى لا تفسير لها أن كثيرا من السيدات لا يستمرون فى الارتباط الزواجى بذوى النمط (ب) طويلا ، بينما المتزوجات من الرجال أصحاب النمط (أ) فيخشونهم تماما ، ويفكرن ألف مرة قبل ترك منزل الزوجية وطلب الطلاق (Kozu ,J. :1999, 51) وكذلك (Alloy ,et al.:1999, 520) ، ويحدث ذلك غالبا لأنهن لا يعرفن مصيرهن حتى لو كن بين أحضان أسرهن .

وغالبا ما يرتبط العنف ضد السيدات بشرب الخمور لدى الضاربين لهم – كما أشار جدول (١) السابق – ولا يوجد هذا الارتباط لدى الرجال العاديين الذين لا عنف لهم . ويقال فى ذلك " إن التسمم الكحولى قد يسبب كفا ولو مؤقتا للقشرة المخية ، ومن ثم يصعب السيطرة على الفعل العنيف، خاصة إذا كان هناك نوع من التعود ، مما ييسر عملية العنف . ناهيك إذا كان هؤلاء الرجال يريدون ذلك ، فإن احتمالات العنف ستزيد، وتتجدد الثورات الانفعالية لأتفه الأسباب (الصبوة : ١٩٩١) .

وفى إطار مزيد من التفسيرات التى يمكن تقديمها لظاهرة العنف الأسرى ، يمكن القول بأن اعتناق مجتمع ما لبعض الأفكار التى من شأنها ترتيب حقوق للرجل فى السيطرة على المرأة ، يمثل الجذر الأساسى، والسبب الرئيسى فى حدوث العنف الأسرى . وهذا هو جوهر ما تعوض له النظريات الاجتماعية الثقافية ، حيث ترى هذه النظريات أنه حتى إذا ما تغيرت القوانين المنظمة للعلاقة بين الزوجين ، بحيث تجرم الضرب المبرح وغير المبرح من قبل الأزواج للزوجات، فإن القيم الذكورية ستفرض نفسها ثقافيا بحيث تجعل كثيرا من الرجال يوافقون على ضرب الزوجات أو يقومون بذلك فعلا ، بل وربما يوافق على الضرب بعض الزوجات بفعل رسوخ قيم ثقافية محددة فى أذهانهن ، استدمجوها خلال تنشئتهن اجتماعيا . وأشارت بعض الدراسات إلى أن معدل ضرب الزوجات يرتفع فى الدول ذات الاتجاهات والأفكار والتقاليد السلبية نحو المرأة . كما ترتفع معدلاته فى الدول ذات الديانات الأرضية مثل الهند والكوريتين والصين ، تليها دول الديانات السماوية التى يتسم رجالها بالتطرف الدينى ، ويليها الدول التى تسود بها بعض الثقافات الفرعية التى تنظر إلى الرجل باعتباره قائدا للحياة الأسرية ؛ لأنه الأقوى ماديا وجسميا من المرأة . (See:Kozu :1999, 52:,Horne, :1999, 55 ; Antonopoulou, G :1999,63 63, Elleoberg :1999, 31 ;McWhirter, P.T;1999, 38; Fawcett, :1999, 42)

أما النظريات المعرفية والسلوكية ، فتأخذ فى حسابها حقيقة مؤداها ، أن هؤلاء الشباب والرجال المعتدين غالبا ما يكونوا قد تعرضوا فى صباهم لصدمات من العنف والعدوان والأذى البدنى ، أو تعرضوا على الأقل لسوء معاملة من آبائهم فى الطفولة، ومن ثم فهم قد تمثلوها ذهنيا ، وأدركوها على أنها أمور من حق الرجال عموما، والآباء بصفة خاصة . وعندما أتى دورهم فعلوا بزوجاتهم وأبنائهم ما كان يفعله معهم آباؤهم .

ويتسم هؤلاء الشباب باتجاهات متناقضة نحو المرأة . وبعجز واضح فى معالجة المعلومات الاجتماعية المتصلة بالجنس الآخر عموما ، وبعجز فى مهاراتهم الاجتماعية اللازمة للحياة الزوجية ، بحيث يشبهون المراهقين الذين لم يبلغوا العشرين من عمرهم ، والذين يتسمون باضطرابات الخلق والمسلك . وفى العادة يعانون من ضعف فى السيطرة على الاندفاعية والشطط والتعدى بالأذى البدنى على الغير ، والعجز عن السيطرة على نوبات الغضب ، مما يغذى فى النهاية نوبات العنف والعدوان ضد المرأة عموما والزوجات بصفة خاصة . ومع ذلك ، لا نستطيع أن نزعم أن كل هذه الألوان من العجز التى يعانون منها هى الأسباب الوحيدة لممارسة العنف وضرب الزوجات .

أما المنظور الحيوى (البيولوجى) ، فلا يتوفر لديه نظريات لتفسير أسباب العنف الموجه ضد المرأة أو المجتمع ، أو العنف والعدوان الموجه لشريك الحياة الذى يفترض أنه تربطه بالآخر علاقات حميمة . وكل الذى أشار إليه هذا المنظور، أن المعتدين بالضرب على السيدات ، إذا كانوا يعانون من اضطراب الاستجابات المناهضة للمجتمع ، فإن هؤلاء عادة ما يكون لديهم ميل عام لممارسة العنف وحب العدائية والعدوان بلا مبرر معقول ، ويكون لديهم تاريخ تطورى طويل تطموا خلاله تقديم ألوان من التبريرات التى تجعلهم يمارسون العنف ضد المرأة . ويشير هذا المنظور إلى أن النمط (أ) من الرجال يختلف عن النمط (ب) فى الاستجابات الفيزيولوجية (كشدة الاستثارة ومداها) ، وسرعة الاستجابة للصراع مع زوجاتهم . ومع ذلك ، فإن هذه الفروق يمكن أن تعزى إلى التعلم الاجتماعى والاكتساب الخاطئ لهذه التصرفات والعادات ، وخاصة إذا كان فى أسرهم أنماط ونماذج من القدوة السيئة فى معاملات الزوجات ، وكانوا يقتدون بها فى حياتهم الاجتماعية .

أما دور العوامل الاجتماعية فى تفسير العنف الأسرى ، فقد أشارت بعض

الدراسات إلى أن اتباع أساليب سيئة فى التنشئة الاجتماعية ، كالإهمال والنبذ والرفض الوالدى (انظر جدول(٢)السابق)، والقسوة والسيطرة ، يرفع معدلات الاستهداف لظهور السلوك العدوانى العنيف. كذلك ، تبين أن كثيرا من عوامل الاستهداف السابقة ، التى تيسر ظهور الاستجابات المناهضة للمجتمع وللآخرين، وتيسر ظهور سلوك العنف والعدوان يمكن أن تجعل كثيرا من الرجال يرتكبون جرائم الاغتصاب . ويتأثر العنف الأسرى – كانحراف سلوكى – من قبل الذكور بمجموعة التقاليد والقفزة الثقافية ، أو الوثبة الثقافية ، لكل منطقة من مناطق المجتمع الواحد ، بحيث ترتفع معدلات العنف والعدوان ، وتزداد جرائم الاغتصاب لدى أبناء بعض الثقافات الفرعية الذين لديهم اتجاهات سلبية نحو المرأة ، والذين لديهم أفكار خاطئة عنها ، وفى الوقت نفسه تعانى القوانين والأعراف التى تسود فى هذه المناطق من ضعف فى قوة الردع لهذه الأفكار والاتجاهات المختلفة (Alloy, et al: 1999, 520).

تعديل سلوك العنف الأسرى وعلاجه :

حاول علماء النفس علاج سلوك العنف الأسرى بصفة خاصة أو تعديله وتغييره للأفضل لدى الشباب والأزواج . كما حاولوا علاج آثار الأذى النفسى الناجم عن الضرب المبرح لدى ضحايا العنف والعدوان من الزوجات . وقد تبين أن جدوى العلاج النفسى كانت أكثر فاعلية للضحايا من الفتيات والسيدات أكثر من المعتدين . وتبين أن تعليم المعتدى كبح جماح الغضب والعنف ، أو كف هذه الاستجابات وتأجيلها لا يحول دون حدوث الضرب مرات أخرى تالية .

كما يركز العلاج النفسى الجمعى عادة على قضايا الأمن والطمأنينة ، وإرشاد السيدات لتوظيف الحماية القانونية والشرطية بشكل فعال . كما يقدم نصائح عملية للتدريب على كل ما من شأنه رفع كفاءة المصادر الذاتية للمرأة ، بحيث يمكنها منع وقوع الأذى لها أصلا ، والتدريب على بعض مهارات التعامل العنيف مع الرجل، وتعديل مهارات التخاطب الاجتماعى بينهما، والتركيز على حل المشكلات عقليا بدلا من التركيز على الانفعالات والصراعات بينهما، وتصحيح فكرة أن المرأة ضعيفة وبحاجة دائمة لمن يحميها . ويركز العلاج المعرفى – السلوكى الجمعى على تعديل اتجاهات الرجال المعتدين ، وتعديل أفكارهم الخاطئة حول المرأة وأدوارها ، وإدارة نوبات الغضب للسيطرة عليها ، وإيجاد بدائل إيجابية لتفريغ طاقة العنف والعدوان فيها.

ولكن – للأسف – تبين أن معظم المعتدين عليها من الرجال يتجنبون الخضوع لهذه البرامج العلاجية . ومن ثم فإن من يكملوا هذه البرامج العلاجية تقل بينهم جوهريا نوبات العنف الأسرى بالمقارنة بنظرائهم الذين لم يكملوا هذا النوع من العلاج لأسباب مختلفة . وتبين كذلك أن النتائج العلاجية مشجعة للغاية ، وسواء أكان ذلك فى شأن تعديل أفكار المعتدين واتجاهاتهم نحو المرأة أم فى شأن علاج السيدات الضحايا من الآثار النفسية التى ترتبت على تعرضها للأذى النفسى والبدنى .

وتقوم الفكرة الأساسية لضرورة تقديم خدمات نفسية وعلاجية متخصصة لكل أصحاب العنف والعدوان وليس العنف الأسرى فقط ، ليس فحسب على أساس أنهم أصحاب سلوك مُشكل ومنحرف ، ولكن لأنهم – أيضا – يمثلون مشكلة اجتماعية تسبب هدر كثير من الطاقات والموارد الاقتصادية. ويكفى أن نشير إلى تكاليف قضايا العلاقات الزوجية والعنف الأسرى بالمحاكم ، والغياب المتكرر من الطرفين عن العمل ، وآثار التفكك الأسرى على الناشئة ، وتكاليف العلاج النفسى الذى يستغرق وقتا طويلا نسبيا عن العلاج الطبى . ولكن تبقى الوقاية من أنجح السبل الفعالة للقضاء على كل أشكال العنف والعدوان .

ثالثا : جرائم الاغتصاب :

يقصد بجريمة الاغتصاب " الحصول على إشباع جنسى من طرف آخر غير مرحب بذلك ، وغير موافق عليه ، ويتم بالقسر والإكراه ويرتبط بالعنف والعدوان (Neal & Davison :1990, 336) كما يُعرف الاغتصاب بأنه " جماع شهوانى بأنثى ضد رغبتها وعن طريق القوة (Alloy, et al :1999, 504) . وهو يندرج ضمن الجرائم التى يرتكبها أصحاب الشخصية المناهضة للمجتمع . وينظر إليه الأفراد الأسوياء وضحاياه على السواء بمزيد من الاشمئزاز ، على الرغم من كونه حادثاً نفسياً وجسدياً مفزعاً ومروعاً وصدمياً .

ولكونه من الجرائم الدخيلة على المجتمع المصرى ، وبدأت تتواتر أخباره فى وسائل الإعلام والمجلات والجرائد السيارة، فسنعرض لبعض المعلومات التى توصل إليها علماء النفس عنه فى الفقرات التالية .

فيما يتصل بمعدلات الانتشار ، فإنه ليس لدينا فى مصر بيانات دقيقة ولا غير دقيقة عن جرائم الاغتصاب . كما لا يمكن الاعتماد على ما يتم تبليغه لأقسام الشرطة لأنه أقل بكثير عن الأرقام الواقعية لأسباب سنوضحها بعد قليل . ولكننا إذا تصورنا فى ضوء متوسط نسب انتشاره فى أوربا وآسيا

وأمريكا ، وهو متوسط يتراوح بين ٥ -٢٢% ، وإذا أخذنا فى حسابنا أن هذه الدول تميل إلى التحرر والانفتاح على الخبرة ، وأن مصر دولة من الدول المحافظة لما بينها وبين هذه الدول من فروق ثقافية ، وتصورنا أن النسبة عندنا قد تنخفض - نظريا - إلى (٢%) كمعدل انتشار للاغتصاب ، فإن هذا معناه أن لدينا ما يزيد على مليون حالة اغتصاب بمائتى ألف . ولا غرابة فى ذلك فى ضوء ما أورده "تيل ودافيسون ،١٩٩٠ فى هذا الصدد ، من أن " الاغتصاب يحدث للأنثى وبعض الذكور فى كل الأعمار ، كما أن المغتصب قد يختار ضحاياه من الأطفال الذين لم يبلغوا من العمر سوى عامين ، أو النساء اللاتى فى الثمانينيات من العمر " (Davison & Neal : 1999, 336) ، مما يجعلنا ندحض بعض الاعتقادات الشائعة بأن الضحايا الإناث لا بد أن تكن جميلات من صغار السن ، وتتسمن بالجاذبية والخلاعة فى المشى والملبس وطرائق الكلام ، علما بأننا لا يمكن أن نغفل دور هذه السمات كعوامل تقوم مقام القرائن، وتؤدى دور العوامل الميسرة لفعل الاغتصاب . ولذا فقد ورد قوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وورد (ولا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) " النور - أية ٢٤ " (أحمد عبد الخالق: ١٩٩٨ ، ٢٦٣) .

ولكى لا نهوّن من شأن هذه الجريمة البشعة والآثار السلبية المترتبة عليها لكل من الضحايا والمجتمع ، نسوق بعض الحقائق ، أهمها ، أنها تنتشر فى كل أنحاء العالم ، ولم تعد تقل فتكا ولا خطراً على الدول ورعاياها من خطر جماعات الإرهاب ، وعصابات السطو المسلح . كما أنها أصبحت أشد فتكا وضراوة فى كل من الأمريكتين وكندا وروسيا والدول الأوربية ودول شرق آسيا. وإذا كنا فى مصر نريد الإفاقة وإعداد خطط وبرامج للوقاية من أجل منع هذا الخطر قبل وقوعه ، علينا أن نأخذ العبرة مما هو حادث فى الدول التى أشرنا إليها الآن . " فالفتاة والمرأة الأمريكية تزداد احتمالات اغتصابها بمقدار ستة أضعاف احتمالات المرأة الأوربية ، ويزداد الاحتمال بمقدار عشرين ضعفا عن المرأة البرتغالية ، وخمسة عشر ضعفا عن المرأة اليابانية ، وثلاثة وعشرين ضعفا عن المرأة الإيطالية ، وستة وأربعين ضعفا عن المرأة اليونانية ". (أحمد عبد الخالق : ١٩٩٨ ، ٢٦٦) .

ولكن انطلاقًا من قاعدة ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ينبغى - فى ضوء معلوماتنا عن غيرنا - أن نتنبه لما ينبغى عمله فى

بيوتنا وأسرنا ومجتمعنا ، لأن هنـــاك دولا لديها نسب انتشار للاغتصاب ليس فحسـب مرة واحدة بل أيضا لتكـرار الاغتصـاب ، ومن ثم فإن لديها برامج وقائية وعلاجيـة لمواجهة هذه الظاهرة الشرسة .

الآثار النفسية والمرضية المترتبة على الاغتصاب :

إن ضحايا الاغتصـاب يكونـون أكـثر خطورة للتعرض لعـدد مـن الاضطرابـات النفسية والجسمية ، من قبيـل الاختـلالات الجنسـية، وبعـض اضطرابـات الخلـق والمسلك، واضطرابات ما بعـد الصدمـة. ولذلك ، فقد أقرت غالبية الضحايا اللاتـي ذهبن لتلقى الخدمات الطبية والنفسية بأنهن تعانين من الخوف من الموت بشكل دائـم، وأنهن تعرضن لإهانة شاملة وليس مجـرد فعل جنسى جسدى يولد كراهية شـديدة ، وعدائيـة لا حـدود لـها لجنـس الرجـال ، ويسـبب كـل زملـة أعـراض اضطرابات مـا بعـد الصدمـة ، كـالقلق والاكتئاب والهروب والتجنب الاجتمـاعى ، والخوف والروع والشعور الدائم بالتـهديد ، والمعاناة الدائمة من الكآبة والحزن والهم والعجز نفسيا . وتعانين جسميا من الاهتزاز والارتعاش وسرعة النبض المميتة والألـم الشديد فـى العضـلات وسـرعة التنفـس والشعور بالإجهاد النفسى الشديد والاحتراق النفسى .ومن الناحيـة المعرفيـة ، يـزداد الاعتقاد لدى الضحايا بأنهن يمكن أن يقتلـن أو تحدث لهن إصابات خطيرة فـى أثنـاء الهجوم العنيف عليهن .

ومن المؤسف حقا أن الغالبية العظمـى من حالات الاغتصاب لـم تذهـب لأقسـام الشـرطة للتبليـغ لأسـباب شـخصية واجتماعية ، أهمها الخـوف مـن وصمـة العار ، والخوف مـن افتضـاح الأمـر ، والخوف من اتهامها بمـا ليـس فيـها ، والخوف من ابتعاد الناس عنها والنظر إليها نظرة متدنية . ولكى نتبين مدى جدية هـذه التقارير اللفظية التى أدلت بـها الضحايا، علينا أن نراجع جدول (٣) الذى يكشف عن التفسيرات المجتمعية الخاطئة حول الأنثـى الضحية وعن المهاجم لها . وكمـا تـرون معى أيها السادة والسيدات ، فكل التفسيرات تلوم الأنثى ، وتدافع عن المغتصـب . ولا غرو لأنها كلها تفسيرات خاطئة وشـائعات يجب تصويبها وتصحيحها.

جدول (٣)

بعض التفسيرات الخاطئة الشائعة فى الاغتصاب عن الأنثى الضحية والمهاجم لها

م	تفسيرات تأخذ شكل الشائعات حول الأنثى الضحية
١	لم يحدث فى الحقيقة ، إنها تحاول أن توقع الفتى فى المتاعب .
٢	لقد حرصت الفتاة على حدوث هذا الفعل ،وشجعت عليه بمظهرها الجسمى وملابسها .
٣	إنها فتاة أو امرأة سيئة تستحق ذلك .
٤	إذا كانت فتاة أو امرأة أخلاقية أو تقليدية وتحافظ على مكانتها ، فإن ذلك لم يكن يحدث لها .
٥	لقد أحبت أن يحدث لها ذلك وسمحت لنفسها بأن تصبح ضحية وتغتصب .
٦	إنها تريد من الرجل أن يغتصبها لأنها تفتقر إلى الحب .
٧	عادة ما تتهم النساء الرجال بالاغتصاب أو الاعتداء عليهن .
٨	تستمتع المرأة بأنها اغتصبت .
٩	معظم المغتصبين من الغرباء وليسوا من المحارم والأقارب .

م	تفسيرات حول المهاجم للضحية (المغتصب)
١	لقد قهرته مشاعره الجنسية والعدوانية ،وتغلبت عليه فى حينها ولم يستطع السيطرة على نفسه .
٢	أتى من بيئة فقيرة ذات مساوئ كثيرة ،ويجب أن نتعاطف معه ونشفق عليه.
٣	لقد كان مخموراً ، ومحروما من العاطفة ،وقد ارتكب هذا الفعل من دون أن يدرى.

ولقد أشارت بعض الدراسات إلى أن العلاقة بين الضحية والمجرم قبل ارتكابه جريمة الاغتصاب ، تكون إما علاقة غُرباء (٦١% من الحالات المسجلة) ، أو من الأشخاص المعارف للضحية (٣١%) ،أو من الأقارب الحميمين (٨%) . معنى ذلك أن نسبة لا يستهان بها تساوى ٣٩% ؛ أى أكثر من ثلث الحالات التى تم اغتصابهن ، كانت من معارف الضحية وأقاربها ، علما بأننا نكرر القول بأن هذه الإحصاءات ليست دقيقة ؛ لأن الغالبية العظمى لا يبلغن الشرطة ، ولا يتلقين علاجا طبيا أو غير طبى فى المستشفيات ، ولا يبحثن عن المساعدة من مراكز رعاية ضحايا الاغتصاب (أحمد عبد الخالق : ١٩٩٨، ٢٦٦).

أهم دوافع المجرمين المغتصبين :

صفوة القول فى دوافع المجرمين المغتصبين وخصالهم الشخصية ، تتبدى فى كونهم صغار السن – أى تتراوح أعمارهم بين ١٥-٢٥ سنة ، وفقراء ، وذوى تعليم منخفض غالباً ، وينحدرون من كل الطبقات التى يسود فيها العنف والعدوان ، ونصفهم تقريباً متزوجون . ولكن اتجاهاتهم نحو المرأة تكون متشددة ، ولا يحترمون شخصيتها وحقوقها ، كما يعتقدون أنها تحصل على إشباعها من الاعتداء الجنسى عليها ، ولهم دوافع ستة يقف خلفها ستة أنماط من المغتصبين هم ، النمط الانتهازى الذى وجد الفرصة مواتية لارتكاب جريمة لم يخطط لها. والنمط الغضوب المتشدد ضد المرأة بصفة عامة ويمثلون ٤٠% من هذه الأنماط جميعا ، ويكون اغتصابه لها مجرد عدوان وحشى عليها لا أكثر بدون ممارسات جنسية. النمط الجنسى الشهوانى الذى يعانى من الهوس الجنسى المستمر ، وهو دائم الانشغال بالإشباع الجنسى ، وحياته كلها مفعمة بالمثيرات الجنسية ، والنمط السادى الذى يحصل على المتعة والسرور من إيقاع الألم والأذى بالغير – وهن الضحايا ، والنمط الحقود المحب للانتقام الذى يحتقر الضحية ويذلها ليوصمها بالعار ، والنمط الذى يمارس القوة على المرأة ليعوض مشاعر النقص فى شخصيته ، ويقوم بترويع الضحية من دون ممارسة جنسية على الرغم من كشف كل عوراتها . وهؤلاء يمثلون ٥٥% من عينة الدراسة (Wilson et al :1992, 219).

كذلك ، أشارت دراسات أخرى (Kilpatrick,et al:.1985) إلى أن مجرمى الاغتصاب غالبا ما يكون لديهم تاريخ أسرى طويل يتسم بالعنف والعدائية وكراهية الجنس الآخر ، ويثابرون على القسوة والعنف ، ولا يدور بخلدهم أى احترام للقيم والمعايير الاجتماعية . ويتسمون بالانحطاط الخلقى بين أقرانهم . وقد يعانى بعضهم من الضعف الجنسى أو عدم الإشباع الجنسى فى حياته الزوجية . وقد يكون لديه تاريخ من الانحراف الجنسى يتسم بالانشغال التام بكل ما يتصل بالجنس من مثيرات .

واستمرارا لمحاولات الكشف عن الدوافع والأسباب التى تبرر حدوث الاغتصاب ، تم التوصل لبعض النظريات والنماذج النفسية ، أهمها النموذج متعدد العوامل Multi factorial model ، حيث أشار هذا النموذج إلى وجود عوامل عديدة ترفع احتمالات حدوث فعل الاغتصاب أهمها شخصية المغتصب التى تتسم بالاستجابات

المناهضة للآخرين فى المجتمع ، أو تتسم شخصيته بالاستجابات المنفصلة عن المجتمع Dyssocial personality ، وكثرة معاقرته واعتماده على المسكرات ، وكثرة رؤيته للأفلام والمثيرات الجنسية ، وكل الفنون الإباحية بشكل عام ، وقراءته للكتابات الداعرة ، وعشقه للصور الفاحشة، بالإضافة إلى ضعف الرقابة عليه منذ الصغر من مؤسسات التطبيع الاجتماعى ، وتبنى المجتمع اتجاها تسامحيا متجسدا فى المؤسسات الحكومية ، كأجهزة الإعلام ، نحو عرض مثل هذه المواد الإباحية ، وعدم تطبيق القانون بحزم ، وكذلك حد الإفساد فى الأرض على هؤلاء المجرمين .

كذلك ، أشار أصحاب المنظور الاجتماعى الثقافى إلى أن العنف الجنسى ، قد لا تسمح به وتجيزه ثقافة بعينها فقط ، ولكنها تباركه ، وقد تثيبه كذلك فى أحيان أخرى . ففى بعض المجتمعات ، وفى بعض الثقافات الفرعية داخل مجتمع بعينه ، ينظر المجتمع الذكورى Patriarchal community إلى العنف الجنسى على أنه جزء من الدور الذكورى ولا غضاضة فيه . وقد يتم تنشئة الإناث على أنهن قد يتعرضن لبعض العنف الجنسى . وقد تسقط منهن بعض الضحايا كجزء من الحياة الاجتماعية لهذه الثقافة (Alloy,L.,et al.:1999, 519) . ولكن الأهم من ذلك ارتباط الفقر بكل من احتراف الدعارة والانحراف الجنسي والاغتصاب . ويُنظر إليه على أنه سبب أساسى فى شيوع الانحرافات الجنسية . وبه يمكن أن نكون أشد قدرة على التنبؤ بحدوث العنف الجنسى إذا ما قارناه بدور العوامل الاجتماعية والثقافية الأخرى ، كالعرق ، والأسرة ، والدين ، أو حتى الطبقة الاجتماعية (Davison & Neal :1990).

على أية حال ، لقد أصبح عمل الاختصاصى النفسى ضرورة بمراكز رعاية ضحايا الاغتصاب وأقسام الشرطة ، ورئاسات الأحياء ، والعيادات الشاملة ، وعيادات الصحة المدرسية ، لاكتشاف كل من لديهم الاستعدادات لارتكاب جرائم العنف الجنسى والاغتصاب مبكرا ، ووقايته لمنع حدوث فعل الاغتصاب أصلا ، وقبل أن يتعرض المجتمع للخطر ، ومن ثم يوضع هؤلاء تحت طائلة القانون ، الأمر الذى يجعلنا نفرد فقرة لمحاولات علماء النفس فى علاج ضحايا الاغتصاب والوقاية من الانحرافات السلوكية بصفة عامة.

العلاج النفسى لضحايا الاغتصاب :

يحاول المعالجون النفسيون مساعدة الضحايا فى إطفاء الخبرات السيئة التى

مروا بها ، وعدم انتقال أثر الممارسة الجنسية القهرية لتعمم على باقى ممارساتهم الجنسية العادية فى حياتهم الخاصة والاجتماعية. ويعملون على تغيير أنماط الاستثارة الجنسية لديهم وتغيير أنماط سلوكهم الخليعة، ومعتقداتهم حول الجنس ، وتعديل عدائيتهم للرجال الأسوياء. يحدث ذلك للمعتدين والضحايا على السواء.

وتشير تقارير البحوث فى هذا الصدد إلى أن البرامج العلاجية تنجح – إلى حد كبير – فى منع الانتكاس لدى ضحايا الاغتصاب ، ولكنها لا تنجح كثيرا مع مجرمى الاغتصاب ،حيث عاد ٧٦% من مرتكبى جرائم الاغتصاب إلى ممارسة هذه الجريمة بعد انتهاء البرامج العلاجية (Concoran,K.J.:1999, 70; Corsi, J.:1999, 64, Valencia,et al,:1999)

ولذلك ، يكمن الحل الأمثل فى الوقاية والاكتشاف المبكر ، لأنه قد ظهر أن التنشئة الاجتماعية التى تتسم بكثرة الحوار الجنسى والثقافة الجنسية بين أفراد الأسرة ، وتكرار مشاهدتهم للمثيرات الجنسية ، أمور من شأنها أن تجعل سلوك الأبناء أكثر خلاعة وأكثر خضوعاً مما يؤدى بهم إلى ما يُعرف باسم " الهوية الجنسية الخنثوية Androgynous gender identity . أما التنشئة الاجتماعية التى تقوم على المراقبة غير المباشرة ، والمتابعة المستمرة بالتوجيه وإسداء النصح والإرشاد ، وتطبيق أساليب الثواب والعقاب ، مع الحزم والاتساق المستمر فى القول والفعل ، وتقديم المعلومات التى من شأنها احترام الفرد لذاته ، ولقيمه ، وللثقافة الاجتماعية والحضارية التى تسود فى الأسرة والمجتمع ، تعد أمورا من شأنها أن تقلل إلى أدنى درجة من احتمالات حدوث الاغتصاب . وغيره من الانحرافات السلوكية ، أو تجعل فُرصها معدومة إلى حد كبير .

الخلاصة النهائية :

وبعد ، فقد عرضنا فى الفقرات السابقة ، لتعريف الانحرافات السلوكية والمقصود بها، وأشرنا إلى معايير السلوك الطبيعى السوى من المنظورين الإحصائى والاجتماعى ، بالإضافة إلى وضع بعض المحكات التى تجعل هذه المعايير أكثر استقامة ، حتى يتضح للقارئ فى ضوئها معايير السلوك المنحرف . وقدمنا فى الفقرة التالية ، رؤية علم النفس فى شجرة عوامل الاستهداف للانحرافات السلوكية بكل أنواعها ، مع عرض لبعض نماذج الانحرافات السلوكية الأكثر شيوعاً ، وهى الانحرافات الجنسية وانحرافات الشخصيتين:

المناهضة للمجتمع ، والمنفصلة عنه، وانحرافات العنف والعدوان . وأتبعناها بعرض مفصل للمنظور الحيوى النفسى الاجتماعى المفسر للانحرافات السلوكية ، ثم عرضنا أخيرا لثلاث حالات شارحة ، بواقع حالة لكل من فئات الانحرافات السلوكية التى وردت بالجدول رقم (١) ، ومحاولات علماء النفس تفسيرها والوقاية منها وعلاجها .

المراجع

(١) احمد محمد عبد الخالق (١٩٩٨) .الصدمة النفسية مع إشارة خاصة إلى العدوان العراقى على دولة الكويت. الكويت: مجلس النشر العلمى بجامعة الكويت.

(٢) أيمن عامر ، هند طه (١٩٩٩) . شرب الكحوليات بين تلاميذ الثانوى العام (الذكور) وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية ، فى: تعاطى المواد المؤثرة فى الأعصاب بين تلاميذ المدارس الثانوية العامة: دراسات فى الواقع المصرى، مجـ٨. القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ص ص ٤٥٩ – ٥٣٢ .

(٣) ريتشارد سوين (١٩٨٨) .علم الأمراض النفسية والعقلية. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. الكويت: دار الفلاح للنشر والتوزيع .

(٤) عبد اللطيف خليفة ، شعبان جاب الله رضوان (١٩٩٨) . الشخصية المصرية: الملامح والأبعاد (دراسة سيكولوجية).القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

(٥) عزت حجازى(١٩٨٥) . الشباب العربى ومشكلاته، ط٢. الكويت: عالم المعرفة (عدد ٨٦).

(٦) فؤاد أبو المكارم ، خالد بدر . تعاطى المواد النفسية وعلاقته بانحرافات السلوك عند تلاميذ المدارس الثانوية العامة (بنين)، فى : تعاطى المواد المؤثرة فى الأعصاب بين تلاميذ المدارس الثانوية العامة ، دراسات فى الواقع المصرى . مصطفى سويف (المحرر) ، مج٨، القاهرة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٩٩ ، ص ص ٢٧١ – ٣٣٠ .

(٧) مايكل تومسون ، ريتشارد إليس ، آرون والدافسكى (١٩٩٧) . نظرية الثقافة، ترجمة : على سيد الصاوى . الكويت : عالم المعرفة (عدد ٢٢٣) .

(٨) محمد أحمد النابلسى (١٩٩٩) . سيكولوجية السياسة العربية: العرب والمستقبليات. بيروت : دار النهضة العربية .

(٩) محمد شحاتة ربيع ، جمعة سيد يوسف ، معتز سيد عبدالله (١٩٩٥) .علم النفس الجنائى القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٠) محمد نجيب الصبوة (١٩٩١) . المخدرات الطبيعية ، فى: تعاطى المـواد المؤثرة فى الأعصاب لدى طلاب المدارس الثانوية العامة بمدينة القاهرة الكبرى، عبد الحليم محمود السيد(المحرر)، القاهرة: منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ص ص ١٧٥ – ٢٦٤ .

(١١) مصطفى تركى (١٩٨٦) . دراسات فى علم النفس والجريمة . الكويت : دار القلم .

(١٢) مصطفى سويف (٢٠٠٠) . علم النفس: دراسات نظرية وبحوث امبيريقية (عملية). القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

(١٣) مصطفى سويف (تحت الطبع) . علم النفس المعاصر: الإنجازات والوعود. محاضرة ألقيت فى فبراير ٢٠٠٠ ضمن محاضرات لجنة علم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة .

(١٤) مصطفى سويف (١٩٩٩) . تعاطى المواد المؤثرة فى الأعصاب بين تلاميذ المدارس الثانوية العامة : دراسات فى الواقع المصرى، مج٨ .القاهرة : منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ص ص ١ – ٣٢ .

(١٥) مصطفى سويف (١٩٩٦) . المخدرات والمجتمع:نظرة تكاملية. الكويت: عالم المعرفة (عدد ٢٠٥) .

(16) Alloy, L.B., Jacobson, N.S. & Acocella. J.(1999), Abnormal psychology: Current Perspective. 8th ed., Boston: McGraw-Hill College .

(17) Antonopoulou, C., (1999) ,Domestic Violence in Greece. Ameri. Psychol., 54(1), 63 – 64.

(18) Anthenelli, R.M. & Schuckit, M.A.,(1992), Genetics. In: Substance abuse: A Comprehensive textbook, J.H.Lowinson, P.Ruiz, R.B.Milkman & J.G.Langard (eds.), N.Y.: Plenum, PP. 39 – 50.

(19) Bemak, F. & Keys, S. (2000), Violent and aggressive youth: Intervention and prevention strategies for changing times. California: Corwin Press Inc.

(20) Bonta. J., Law, M. & Hanson, K. (1998) The prediction of criminal and violent recidivism among mentally disordered offenders: A meta –Analysis, Psychol. Bull., 123(2), 123 – 142 .

(21) Chalk, R. & King, P.A. (eds.). (1998),Violence in families: assessing prevention and treatment programs. Washington, DC: National Academy Press .

(22) Comer, R.J.,(1992), Abnormal Psychology.N.Y. Freeman & Co .

(23) Concoran, K.J. (1999), Sexual aggression and sociocultural risk, Ameri. Psychol., 54(1), 70.

(24) Corsini, R.,(1994), Encyclopedia of psychplogy.v.1 and v.3. N.Y.: Johan Wiley & Sons, pp. 411 – 413; pp.567 – 568.

(25) Davison, G.C. & Neal, J.M.,(1990), Abnormal psychology .5th ed., N.y.: John Wiley & Sons .

(26) Ellsberg, M., Caldera, T., Herrera, A., Winkvist, A. & Kullgren, G., (1999),Domestic violence and emotional distress among Nicaraguan women: results from a population – based study. Ameri. Psychol., 54 (1), 30 – 36.

(27) Fawcett, G.M., Heise, L.L., Isita – Espejel, Pick, S.(1999), Changing community responses to wife abuse: A research and demonstration project in Izatacalco, Mexico. Amer. Psychol., 54(1), 41 – 49.

(28) Gottesman, I.(1966), Genetic variance in adaptive personality traits. Jou. Child Psychol.& Psychiat., 7, 199 –208.

(29) Gottesman, I.(1968), Genetics. In : Biology and behavior, (ed.) D.C Glass. N.y.: Rockefeller Univ. Press and Russell Sage Founda. pp. 59 – 68 .

(30) Horne, S. (1999),Domestic violence in Russia. Ameri. Psychol., 54(1), 55–61.

(31) Kilpatrick, D.G., Veronen, L.J & Best, C.L.,(1985), Factors predicting psychological distress among rape victims, in Trauma and its wake.v.1, (ed.) C.R. figley. The study and the treatment of posttraumatic stress disorder. N.y.: Brunner 1 Mazel, pp.131 – 141.

(32) Kozu, J.(1999),Domestic violence in Japan. Ameri. Psycholog., 54(1), 50-54.

(33) McWhirter, P.T. (1999), La violencia privada: Domestic violence in Chile. Ameri. Psychol., 54(1), 37 – 40.

(34) McWhirter, J., (1993),McWhirter, B., McWhirter, A., McWhirter, A., McWhirter, E., At–Risk youth: a comprehensive response. Califor.: Brooks/ Cole Pub.Co. .

(35) Naimerk, H. (ed.), (Review of United Nations Document E/CN.4/1995/42 entitled:Preliminary report submitted by the special rapporteur on violence against women, its causes and consequences, MS. Radhika coomaraswamy, in accordance with commission on human rights resolution, 1994/95. Ann Arbor, Mi.: Society for the Psychological Study of Social Issues.

(36) United Nations.(1996), The Beijing declaration and the plat form for action. New York: U.N. (see especially paragraphs 112-130) (now available as Dpl/766/ wom. Through U.N.department of public information. N.Y.; /10017).

(37) Steiner, Y.(1999), Prevention and intervention for high-risk girls in Israel and the Arab- sectors .Ameri. Psychol., 54(1), 64-65.

(38) Vialencia, A. & Van Hoorn, J. (1999), La Isla Pacifica: A haven for battered Mexican American women, Ameri. Psychol., 54 (1), 62 – 63.

(39) Walker, L.E. (1999),Psychology and the domestic volence around the world. Ameri. Psychol., 54 (1), 21 – 29 .

(40) Walker, L.E. (1997), Domestic violence: theory, policy and intervertion in the Americans. Invited address at the regional psychology conference for professionals. The Americas: understanding the science and practice of psychology. Mexico City, July 27- August 2 .

(41) Wangberg, K.W. & Milkman, H.B.(1998), Criminal Conduct and substance abuse treatment : startegies for self-improvement and change , the provider's Guidence. London : Sage Public .Inc..

(42) Wilson, G.T.,Q'Leary, K.D. & Nathan, P.E.(1992) Abnormal psychology, New Jersey : Englewood Cliffs, Prentice - Hall.